روايات رومانسية عالمية
عبير



آن هامبسون

الشمس والظلال NLO

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية

عبير

NLO

الشمس والظلال

المتجهون

نحو اقدارهم يقفزون كالخيل فوق

حواجز خشبية او نارية، وكثيراً ما يسقطون قبل

اللقاء الرائع . لكن في هذه القصة تلعب حبكة القدر لعبتها

العجيبة، ولا يبقى امام كارلوس وساره سوى حاجز واحد ولو انه معنوي

فهل تتزوج كولن من انولا بلا حبركي يفسح لهما المجال وزواجهما كان

مستحيلاً من دون ان توافق انولا على فسخ خطبتها من كارلوس ؟ وكاتب

الأسفار جيلبير برود هورست كيف يكمل حياته المهنية بعدما تزوجت

سكرتيرته التي باتت اقرب اليه من اي انسان ؟ في جزيرة قبرص

الرائعة تجري احداث هذه الرواية التي تقبض على

شغاف القلب ... حتى سقوط الحاجز الأخير .

جمهورية مصر العربية

١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٢٧٨٦٤١٨

١- الأخ ليس أخاً

كان معظم سكان مدينة براكهورست مجتمعين في القصر الذي أضيئت كل جوانبه للاحتفال بذكرى الزواج الذهبي لجدي كولن. النوافذ مشرعة في تلك الليلة من ليالي نيسان (ابريل)، الحا[illegible] غير اعتيادية. اريج [illegible] ينبعث من الحديقة الواقعة [illegible] المبنى الطويل.

كولن وسارة تركا الراقصين وجلسا على الشرفة. جاء خادم حاملا صينية المشروبات المنعشة وقدم لهما المشروب.

هزّ كولن رأسه وقال:

«خمسون سنة زواج. هل تعتقدين انهما كانا سعيدين كل هذه المدة؟».

بريق فرح ارتسم في عيني سارة الرماديتين وأجابت:

«أي جواب تنتظر مني؟ انت تعرف جيداً اني لست بفتاة عاطفية».

نظر اليها عميقاً ومطولا ثم قال:

«تهمك مهنتك قبل أي شيء آخر، أليس كذلك؟ انت من النوع المثالي للمرأة المستقلة، الواثقة من نفسها... لكنك ستدركين يوما بأنه سينتهي بنا المطاف الى الزواج».

راحت تداعب بشرود اسفل كأسها وتقول:

«هل تعتقد ذلك؟».

«سنكتشف يوماً باننا نشبه بقية الناس...».

«ونتجذب الى الزواج والأولاد ومباهج الحياة العائلية؟».

ادارت وجهها ضاحكة. فكشفت الاضاءة الآتية من الغرفة بشرتها وملامح وجهها المرسومة باتقان. وشعرها القصير الأشقر المعقود فوق جبينها العريض الناعم.

«ساعلمك بالامر عندما أشعر باكتمال هذا التحول».

«ساكون في رأس اللائحة، أليس كذلك؟».

«ليست هناك لائحة».

اصبحت نظرة الفتاة حالمة. امام عينيها برزت صورة شاب عملاق اسمر ومتين، وجهه يوناني جميل وعيناه خضراوان ساحرتان. كيف اصبح الآن؟ لا شك انه تجاوز الثلاثين من عمره. اذا التقيا يوماً ما سيكونان كغريبين. فقد اختفى منذ تسع سنوات من دون ان يترك اثراً. تسع سنوات... كانت سارة في السادسة عشرة من عمرها وكارلوس في الحادية والعشرين. منذ طفولته كان صبياً بارداً ومتهكماً ووقحاً. انها تتذكر من جديد عينيه القاسيتين، وصوته الهادىء والحاد.

قاطع كولن احلامها وسألها:

«بماذا تفكرين؟».

رفعت عينيها نحوه، فقال:

«لا تقولي شيئا، اعتقد اني حزرت. تفكرين بعملك، فلا شيء غيره في ذهنك».

ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتي سارة وقالت:

«في الحقيقة كنت تائهة في الماضي».

رمقها بنظرة تساؤلية وقال:

«هل كنت تفكرين بوالديك؟».

هزت رأسها بشرود فلم يلاحظ رفيقها هذه الحركة. فأضاف:

«لا تتكلمين ابداً عن نفسك او بالكاد. كل ما اعرفه هو ان عائلة فرنسية يونانية قد تبنتك. وقتل والداك بالتبني في حادث طائرة عندما كنت في الثامنة عشرة من عمرك. كما قلت لي ايضا انه كان لهذه العائلة ابن لم يظهر منذ مدة طويلة. هذا كل ما اعرفه عنك».

حملت سارة كأسها لكنها لم تشرب منه. فهي وكولن صديقان منذ ست سنوات. اي منذ الفترة التي بدأت فيها بالعمل عند عمه الكاتب المعروف جيلبير هولغروف الذي يؤلف كتب الاسفار المشهورة في العالم كله. كانت سارة تحب عملها لأنه يتيح لها السفر. تنزل في الفنادق الفخمة وتلتقي بالأشخاص المثقفين والممتعين. وأينما ذهبت يكون لها اصدقاء جدد، سعيدة وراضية على قدرها، تشكر السماء لأن جيلبير اختارها من بين خمس عشرة فتاة لتكون سكرتيرته الخاصة.

السنة الفائتة ذهبا الى تركيا، والسنة التي قبلها امضياها في مصر، وبعد اسبوع سيذهبان الى قبرص. وهناك سيسكنان في فيللا واسعة

في قرية في الجبل تدعى لابيتوس. انه مكان اخضر حيث الشلال ينبثق من الصخور الكلسية ويروي الأرض القاحلة. وسارة تنتظر هذه الرحلة بفارغ الصبر، خاصة لأنها لن تزور الفنادق في اقامتها هناك. وحسب الصور العديدة والملونة، ادركت سارة ان الفيلا التي ستسكنها مع الكاتب هي من الفخر ما بني في ارجاء منطقة كيرينيا.

تقع الفيلا على سفح جبل مرتفع. بيضاء ودارها مبني على عواميد وقبب. الشرفات تحيط بها وكذلك حديقة رائعة تنمو فيها اشجار النخيل وعدد لا يستهان به من الأشجار الوارفة الغريبة. الغرف الاساسية تطل من الجهة الشمالية، على منظر رائع للقرية. وأشجار الحمضيات المختلفة الأنواع تمتد حتى الساحل الرملي وما بعد البحر المتوسط، حتى جبال تركيا. وهذه الفيلا تخص صديق جيلبير الاميركي الثري. اعاره اياها لأنه سيقوم بزيارة طويلة الى كاليفورنيا.

قاطع كولن حبل افكار سارة وتنهد من دون صبر. فالتفتت نحوه. انه دائماً معها عندما تكون في انكلترا خلال زيارة قصيرة. وتتكل عليه ليرافقها الى الزيارات والسهرات. ومنذ وقت قصير بدأت سارة تشعر بضرورة التحدث اليه عن مشاعرها وحياتها الخاصة.

بدأت تقول والكاس تدور بين اصابعها بشرود:

«ترى الأمر غريباً ان تكون العائلة التي تبنتني من الجنسية القبرصية اليونانية...».

«طبعاً وكم رغبت في ان اطرح عليك بعض الاسئلة حول حياتك الخاصة، لكنك كنت تفهمينني بطريقة غير مباشرة. انك مصرة على عدم الكلام في الموضوع».

نعم، كولن على حق. لقد حافظت على صمتها لأنها كانت ترغب في نسيان مرحلة غير مفرحة من حياتها، لكنها اليوم قررت بدء الكلام. فأخبرت كولن ان والدتها ماتت بعدما جاءت بها الى الحياة. وبعد وقت عرف والدها انه مصاب بمرض لا دواء له. ومن شدة قلقه، الحّ على اصدقائه القبارصة، بانوس وستيللا الجلوس، ان يتبنيا ابنته.

كان بانوس عرّاب سارة. وبالنسبة الى المواطن القبرصي، هذا يعني تحمل مسؤولية كبيرة. فعليه ان يربي الولد الذي يرعاه اذا تيتم. وبما ان بانوس وزوجته كانا قد حصلا على الجنسية البريطانية، تم التبني بسهولة. ولم تعش مع والدها بعد التبني اكثر من شهر واحد، أي الى حين وفاته من جراء مرضه المزمن.

قطب كولن حاجبيه وقال:

«يا لهذه المأساة! اذن انت لا تتذكرين والديك الحقيقيين».

اشارت له سارة بحركة سلبية. تمكث برهة ثم تزعج، بتعبير غريب يرتسم على وجه الفتاة. فسألها بفضول:

«هل كنت سعيدة مع عائلتك الجديدة؟».

احمرّت قليلا وفكرت بأنه ربما اخطأت في التحدث عن أسرار حياتها الماضية. كيف باستطاعتها التكلم عن والدي كارلوس من دون ان تنتقدهما غير انه كان من الصعب ان تتراجع وتعدل عن مواصلة الحديث، فأكملت تقول:

«والداي بالتبني كان لديهما ولد... في السن الخامسة من عمره».

قاطعت نفسها ومرّ على وجهها بريق ندم وحسرة، ثم تابعت تقول:

ولو كان كارلوس اصغر سناً او اكبر سناً مما كان عليه، لربما جاء

الوضع مختلفاً».

وضعت سارة الكأس الذي لم تشرب منه، على الطاولة وأضافت:

«لم يكن والداه قد صمما على انجابه...».

قاطعها كولن قائلا:

«كيف تمكنت من معرفة ذلك؟».

«انه مجرد حدس واستنتاج. فهمت هذا الأمر بعدما كبرت، عندما كنت ابحث في داخلي لماذا كارلوس وأنا لم نحب بعضنا».

«هل هذا هو السبب لعدم حدوث مقابلات بينكما الآن؟».

هزت رأسها وتابعت:

«تزوج بانوس من ستيلا عندما كانا بسن الثامنة عشرة، وكان زواجهما مبنياً على الحب. وبتُّ متأكدة انهما ندما على الانجاب ولم يمر سنة على زواجهما. ولما اصبح كارلوس في سن الفهم، ادرك بصورة غريزية ان والديه لم يرغبا به، فنما وكبر بعيداً عن حنانهما. منذ ولادته كانت تهتم به مربية جاءت خصيصاً له. ولما كبر والداه بالسن، ادركا خسارة عاطفة ابنهما. حينئذ قررا التعويض عن خطاهما، لكن كان قد فات الأوان، ذلك ان كارلوس اصبح منغلقاً على نفسه. ولا مجال لاصلاحه».

توقفت لحظة لتبحث عن كلماتها ثم تابعت تقول:

«أعتقد انهما فرحا لتبنيهما ولداً آخر».

صرخ كولن مندهشاً:

«تريدين القول انهما تبنياك بتحدٍّ».

«ليس تماماً. هذا واجبهما في كل حال. لكني أعتقد انهما كانا حزينين لعدم تمكنهما من استمالة عطف وحنان ابنهما. فحوّلا

عاطفتهما نحوي ولبيا كل نزواتي. كنت احصل على كل ما أرغبه. حصان، دروس رقص، مجوهرات... كانا يدفقان عليّ الهدايا. وهذا شيء غريب وأحمق».

«و... كارلوس؟».

اطلقت زفرة عميقة وقالت:

«كانا يلهوان بمساعدتي وتفضيلي ليلحقا به الأذى والضرر. كنت أملك الألعاب الجميلة والفاخرة بينما هو يتلقى الألعاب العادية القليلة، وبطبيعة الحال، بدأ الصبي يكرهني».

«قلت لي، انه أدرك ان والديه لم يرغبا بانجابه قبل مجيئك الى العيش معهم».

«صحيح. لكن لما كبر بالسن، راح يفكر بما جرى واعتبر مجيئي الى العيش معهم بداية عذاباته ومأساته».

«افهم الآن ما كنت تقصدين منذ قليل. لو كان كارلوس في سن اكبر مما كان عليه عندما دخلتِ المنزل، لتذكر ان والديه رفضاه قبل مجيئك، ولو كان اصغر سناً لما تذكر انضمامك الى العائلة».

هزت رأسها وموسيقى الفالس تحيط بهم آتية من صالة الاحتفال. اصغيا لحظة الى الموسيقى ثم تابعت سارة الكلام وقالت:

«دخل كارلوس المدرسة الداخلية في الثانية عشرة من عمره. ولم أكن أراه الا خلال العطل المدرسية. شيئاً فشيئاً بدأت أعي الوضع وكنت مستاءة كلياً. في أحد الأيام، في عيد الميلاد بالذات، كنت يومها في العاشرة من عمري وكارلوس في الخامسة عشرة، تلقيت هدايا باهظة ومختلفة بينما لم يتلق كارلوس سوى دفتر وقلم حبر. لا شك ان الوضع كان مقيتاً، فلم يتوقف لحظة عن النظر الى الهدايا التي تلقيتها. ولما عاد الى المدرسة بعد نهاية العطلة، ترك دفتره وقلمه في المنزل.

قال كولن باشمئزاز:

«انهما حقاً شخصان غريبان لا يملكان بصيص عاطفة. كيف يمكنهما معاملة ابنهما هكذا؟».

هزت سارة رأسها بارهاق وقالت:

«في هذا الميلاد بالضبط، أدركت حقيقة الوضع، وحاولت بعدها التقرّب من كارلوس اكثر من قبل. اردت ان اكون صديقته. انت تعرف كيف تتصرف الأخت الصغيرة مع اخيها الكبير... او ربما لا تعرف!».

ضحكت سارة لكن كولن أجابها بلطف:

«أعتقد ان باستطاعتي تصوّر الوضع».

«حسناً اذن، حاولت التقرّب منه لكن فات الأوان فكان منغلقاً وراء درع كتوم. تعيساً الى درجة كبيرة...».

انقطع صوتها ولمعت عيناها انفعالا ثم تابعت تقول:

«فعلت كل ما بوسعي... لكنه كان يبقى في المدرسة الداخلية طيلة الفصل الدراسي، وخلال العطل المدرسية ولم يكن الوقت يسمح لي ان اوفق في محاولتي لاستمالته. ولما اصبح في الثامنة عشرة من عمره، ترك المنزل ولم أره الا نادراً، لانه لم يكن يزور والديه الا نادراً جداً. كنت أزوره في شقته، لكن استقباله لي لم يكن مقبولا او مضيافاً».

«هل طردك؟».

«كلا. لم نكن نتشاجر ابداً. مرارته كانت تخلق حاجزاً بيننا لم نتمكن من اختراقه».

انحنت لتأخذ كأسها وشربت بشراهة كأنها بحاجة الى استعادة قواها قبل ان تتابع الحديث:

«في سن الحادية والعشرين، تعرف الى فتاة انكليزية وتزوجا بعد

أسابيع قليلة...».

انطفأ صوتها الناعم. فمحاولتها اليائسة لتعوّض الظلم الذي كان كارلوس ضحيته ادت الى ازدياد حبها وعاطفتها نحوه. حينذاك كانت تتصور ان ما تشعر به في داخلها لم يكن سوى مجرد عاطفة اخوية، لكن هذا الشعور ازداد تدريجياً وأصبح قوياً وعنيفاً ولم تفهم الحقيقة الا يوم عرّفها كارلوس الى اليسون.

قال كولن حالماً:

«لماذا تزوج بهذه السرعة؟».

«لأنه شعر لأول مرة ان شخصاً ما يظهر له عاطفة صادقة. فانصبّ على هذا الحب بنهم».

«كيف كانت اليسون؟».

رفعت كتفيها وأجابت مبتسمة:

«من نوع الدمى السريعة العطب».

«هل كانا سعيدين؟».

«لا أعرف، لكن آمل ذلك من كل قلبي. لم أره منذ زواجه ولم يكتب اليّ احد من عائلته».

«ألا تعرفين اين يسكن؟».

هزت سارة رأسها وقالت:

«عندما مات والده، المحامي المكلف وجد له اثراً في اليونان، لكنه لم يحضر الدفن. اما بالنسبة الى الوصية...».

وفقدت سارة برودة دمها الاعتيادي وبلعت ريقها بعصبية وقالت:

«رفض ان يقبل مني المال، ولم يعترض على محتوى الوصية».

فتح كولن عينيه اندهاشاً وقال:

«تقصدين انها. . . لم يورثاك كل شيء».

«بل، ورثت كل ثروتها وكان مبلغاً كبيراً. لكني فقدت حينذاك كل أمل. كتبت مراراً لكارلوس لكنه لم يرد عليّ ابداً. ومرة أعيدت رسائلي، بعدما كان كارلوس قد غيّر عنوانه».

رمقها كولن بنظرة ثاقبة وقال:

«يبدو انك حزينة لأنك فقدت كل اتصال به. هل ما زلت تكنين له المحبة؟».

أجابت بهدوء:

«لقد نشأنا وترعرعنا معاً».

تنهّد كولن وقال:

«في كل حال، لا يبدو انه احبك ومن الأفضل لك ان تنسي هذه المرحلة الكئيبة من حياتك».

تردد قبل ان يضيف قائلاً:

«والمال؟».

«اودعته في احد المصارف وأرفض كلياً ان تمتد يدي الى هذه الثروة».

وهذا الرد الذي لم يفاجىء كولن وضعا نهاية لهذا الحديث. وصل مدير سارة ترافقه ابنته اودري وصديقتها دافنيه. نهض كولن، وجاء خادم يقدم للجميع المشروبات المنعشة على صينية من الفضة.

صرخت دافنيه تقول وهي تنظر بالحاح الى كولن:

«انها حفلة رائعة!».

لكن كولن نظر الى سارة نظرة فكاهية سرية ثم راح يتكلم الى عمه ويقول:

«أنت تفكّر بالكتاب الجديد الذي ستحققه عن قبرص، أليس كذلك؟».

«بعد اسبوع من الآن سنبدأ انا وسارة بالعمل الجدي».

ابتسم جيلبير وهو ينظر الى سكرتيرته فردّت عليه بالمثل. منذ البداية وهما متفقان. جيلبير رجل طويل القامة، أشيب، ذو وجه نحيف، يتمتع بصبر لا حدود له. مرح ومزاجه طيب دائماً. مضى حتى الآن ست سنوات على سارة وهي تعمل له. ولم يتفوه ابداً بكلمة تسيء اليها.

تدخلت ابنته اودري في الحديث وقالت:

«كم احسدك يا سارة. دائماً مسافرة وبرفقة الرجل الذي احبه واعجب به!».

رفع والدها حاجباً وقال:

«الى اليوم الذي التقيت فيه بزوجك الماهر!».

قال كولن ضاحكاً:

«تخلّيت عن الحياة الحلوة لتتزوجي».

نظر باتجاه سارة، فردّت على ضحكته بالمثل. لو لم تتزوج اودري التي كانت سكرتيرة والدها، لما تمكنت سارة من الحصول على هذه الوظيفة التي يحسدها الجميع عليها.

سألت دافنيه الكاتب وهي تبتسم الى كولن:

«اخبرنا عن هذه الفيللا الرائعة التي ستسكنها خلال اقامتك بقبرص».

«بالحقيقة، لم أرها بعد. كل ما أعرفه انها مريحة وهادئة».

سألت اودري بعد تردد واضح:

«هل بامكاننا جميعاً ان نمضي هناك بعض الأيام معكما؟».

وسرعان ما ندمت على هذا السؤال لأنها تعرف الى أي درجة يستاء والدها من الانزعاج عندما يكون منغمساً في الكتابة. أجابها

باختصار:

«وعاء».

وهذا الاختصار دليل واضح على انه من الضروري على ابنته ان تلغي هذه الخطة من رأسها! ظل الحديث يتتابع بلا رابط الى ان دخل الجميع، بعد ربع ساعة، الى الصالة الكبرى.

حلقت الطائرة بشكل دائرة فوق مطار نيقوسيا قبل ان تحط على المدرج بهدوء.

الصديق الاميركي الذي أعار جيلبير منزله ترك له سيارته في مرآب المطار، كي يستعملها خلال اقامته في الفيللا. المرور في الجمرك لم يأخذ وقتاً طويلا. وبعد قليل كانا يجتازان مدينة نيقوسيا الجميلة وجدرانها القديمة وشوارعها ذات الخطوط الثلاثة. وبدت ذات تناقضات عنيفة لأن الغرب دخل بقوة الى هذه المدينة الشرقية القديمة. المنازل الجميلة البيضاء وقبب الجوامع، تبرز بوضوح تحت السماء الزرقاء. السيارات الاميركية الضخمة تجتاز عربة يقودها فلاح وحصانه. الفتيات الايفعات يمشين بتألق قرب النساء العجائز اللواتي يرتدين الفساتين السوداء.

أخذ جيلبير مخرج كيرينيا ليغادر العاصمة القبرصية. وكان عليهما ان يظهرا جواز سفرهما الى ضابط قبرصي رسمي سألهما بعد ان ردّ لهما الجوازين:

«هل جئتما الى قبرص لتمضية العطلة؟».

«سنبقى هنا سنة تقريباً».

ابتسم لهما الضابط وقال:

«هل تعملان هنا؟».

أجاب جيلبير بمحبة ولطف:

«سنكتب كتاباً عن جزيرتكم الحلوة».

«أهلا وسهلا بكما الى قبرص. نحن مسرورون لاستقبالكما».

أجابته سارة وجيلبير في وقت واحد:

«شكراً».

ابتعد الضابط بعد ان حيّاهما. فقال جيلبير مسرعاً:

«اذا كان سكان قبرص يشبهونه، فسنمضي وقتاً ممتعاً لن ننساه ابداً».

«نعم، انه لطيف جداً».

«ويتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة. اشعر انني كسول عندما الاحظ ان الأجانب يجتهدون في دراسة لغتنا».

«وأنا مثلك ايضا. ربما بامكاني ان أتعلم شيئاً من اللغة التركية خلال اقامتي هنا».

«واللغة اليونانية ايضا».

ذكرته بكبرياء خفيف:

«نسيت اني أتكلم اللغة اليونانية قليلا. ويعترف اليونانيون بانفسهم ان لغتهم اصعب بكثير من لغتنا».

لم يعلق جيلبير على كلام الفتاة. فاجتازا قرية تركية تدعى غونيلي. الرجال السمر يجلسون على شرفات المقاهي والنساء يرتدين الأسود ويحملن اشياء ثقيلة. شاهدا قرى صغيرة منتشرة في سهل الميساوريا. المآذن العالية تنتصب فوق البيوت القرميدية. وفي هذه المرحلة من السنة، الأرض تتألق بكل مجدها الربيعي، الأرض الخضراء المرصعة بالبقع الملونة: المارغريت الأصفر والخشخاش الأحمر.. ومن بعيد ترى الحقول الواسعة حيث ينبت القمح بوفرة.

قالت سارة من دون حماس:

«كان يجب ان أدوّن بعض ما رأيته».

نظر اليها جيلبير مبتسماً وقال:

«نعم، كان يجب عليك ان تدوني بعض المعلومات، لكن الظاهر انك غير متحمسة».

«المنظر جميل للغاية، اشعر برغبة في النظر والمشاهدة فقط».

«اذن، شاهدي يا ابنتي. سنعود لنأخذ الصور وندوّن المعلومات متى حصلنا على اذن بالتصوير».

أشارت سارة بيدها الى المنظر الجميل الذي يحيط بها وقالت:

«هذا المنظر لن يدوم طويلاً».

سيزداد الحر يوماً بعد يوم. ومتى اختفت أزهار سنابل القمح، لن ينبت شيء، حتى هطول امطار الخريف في أواخر تشرين الأول (اكتوبر) وأوائل تشرين الثاني (نوفمبر).

«سيدوم هذا المنظر حتى تتمكن من تنفيذ أهم ما لدينا من عمل. وسنظل هنا حتى أوائل الربيع من السنة المقبلة».

والآن تجتاز السيارة الطريق المحدودة من جانبيها بصفين من الأشجار. الظل مريح بعد اجتياز منطقة مشمسة شحّت فيها الأشجار.

سألها جيلبير عندما وصلا أمام مقهى صغير يقع وسط العشب الأخضر:

«هل تحبين ان تشربي شيئاً؟».

«نعم، شكراً. انني عطشانة جداً».

جلسا في المقهى، وفي الحال اقترب منهما الخادم مبتسماً. فقال له جيلبير:

«هل هذا العشب لك؟ كيف ينبت هنا؟».

«هل هذا يدهشك؟».

ضحك الرجل باكتفاء وتابع:

«الجميع يندهش للأمر. من النادر رؤية العشب الأخضر في قبرص. لكني احب العشب كثيراً وبما ان الماء وافر، فليس هناك من صعوبة».

قال جيلبير وهو يرفع حاجبيه:

«ليس هناك من صعوبة؟ كم تمضي من الوقت لتروي هذا العشب؟».

«ساعة واحدة في اليوم. هذا المنظر يستحق ان تكرّس له كل هذا الوقت. ماذا بامكاني ان أقدم لكما؟».

احتسيا الليموناضة التي لم يسبق لسارة ان تذوقت مثلها من قبل. فالحامض ينبت في الحديقة الواقعة خلف المقهى.

دفع جيلبير الحساب ونهض وقالا معاً:

«شكراً، سنعود مرة اخرى».

سأل الخادم وهو ينظر اليهما بفضول، بينما كان جيلبير يعطي سارة حقيبة يدها:

«هل جئتما لتمضية عطلة هنا؟».

«كلا، نحن هنا لنضع كتاباً».

«عن قبرص؟».

هز جيلبير ايجاباً، ففرح الرجل وقال:

«اهلا وسهلا بكما في جزيرتنا».

قال جيلبير عندما صعد الى السيارة:

«يتهيأ لي ان الجميع سيستقبلوننا بأذرع مفتوحة. هذا البلد يفتنني حتى الآن».

«وأنا كذلك».

شعرت بحماس وفرح لم تشعر بهما من قبل. ربما لأن هذا الاتصال الأول مع الجزيرة يبشر باقامة حلوة. ومع ذلك كانت تشعر

بقناعة غريبة بأن هذا الشعور غير مرتبط بلطف الناس وحسن ضيافتهم.

بعد دقائق قليلة، اتجهت السيارة نحو الممر الجبلي الذي يقطع خاصرة سلسلة جبال كيرينيا. وعلى قمم هذه الجبال ينتصب قصر هيلاريون وقصر بوفافنتو، اللذان يعودان الى عهد الصليبيين. وهنا كان الهواء مليئاً برائحة الأشجار وعطر اللاوندا البرية والصعتر.

وما ان اطلا على سفح الجبل حتى سارا نزولا من جديد. ونحو الشمال كانت قمم الجبال خضراء، مغطاة بأشجار السرو والخروب. فجأة أطلقت سارة زفرة استغراب ودهشة عندما اطلت امامها مدينة كيرينيا. القصر يطل على المرفأ، البحر الأزرق يمتد حتى جبال تركيا وقممها البيضاء تلمع تحت أشعة الشمس.

«يا له من منظر خلاب!».

«انه رائع حقاً!».

انعطف جيلبير واذا به يصل الى على رجل عجوز يمشي حافياً، وزوجته تمشي بقربه حاملة كيساً ثقيلا بيد وطفلا على ذراعها.

قالت سارة بجفاف:

«بعض العادات والتقاليد هي واحدة في كل البلدان الشرقية».

قهقه جيلبير ضاحكاً وقال:

«الرجل هو كل شيء والمرأة لا شيء. هذا ما تفكرين به، أليس كذلك؟».

«هذا يجنني!».

«يجب ان تكوني معتادة على هذا الأمر».

سكتت وراحت تفكر بكارلوس. كان والداه قبرصيين يونانيين ولد في قبرص وأمضى طفولته في انكلترا. ربما بالنسبة اليه، التقاليد والعادات الغربية محت عنده الشعور بالتفوق الرجولي الخاص

بالشرقيين.

اصبحت كيرينيا وراءهما. ولم يعد امامهما الا بضعة كيلومترات كي يصلا. كانت السيارة تسير على طول الشاطىء، البحر على يمينها والتلال الخضراء على يسارهما. ثم أخذت طريقاً يتسلق عالياً بين المراعي وحقول الحمضيات. وفجأة أوقف الكاتب السيارة امام بريد القرية ليسأل عن الطريق، فأثارا اهتمام وفضول الرجال الذين كانوا يشربون القهوة خارجاً ويلعبون الورق. كل الأحاديث توقفت وسارة كانت محط اهتمام الجميع. عشرات النظرات راحت تحدق بها مفصلا، وهي تبتسم لهم بلطف. لن تفهم ابداً أي فرح يشعرونه عندما يراقبون تفاصيل جسمها ولا شك انهم يتساءلون عن علاقة جيلبير بسكرتيرته.

كان مستخدم البريد القبرصي اليوناني رجلا شاباً ومحباً. يتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة. دلّهما على الطريق المؤدية الى الفيلا البيضاء الرائعة على رأس التلة. وبعد دقائق معدودة استقبلهما كيريا ودافوس خريستو، الزوجان المستخدمان عند صديق جيلبير.

الفيلا كانت حقاً رائعة. على الشرفة تنبت نباتات العريشة ذات الألوان الفاقعة بالأحمر والليلكي. وداخل المنزل كل وسائل الراحة العصرية والتكييف موجودة.

«اهلا وسهلا بكما الى جزيرتنا».

ابتسم دافوس وهو يحييهما. كان قصير القامة، كبير الجثة. شعره الأسود يرجع الى الوراء مظهراً جبينه العريض. يبلغ حوالى الاربعين من العمر بينما زوجته لا شك تصغره بعشر سنوات على الأقل.

قالت الزوجة شيئاً باللغة المحلية، فأسرع الزوج يقول:

«زوجتي لا تتكلم الانكليزية الا قليلا. انها تتمنى لكما الرحب

والسمة كما هي سعيدة للتعرف اليكما ومستعدة لتأخذ الآنسة الى غرفتها.

تبعت سارة كيريا. وصعدا معاً سلماً طويلا أدى بها الى غرفة بيضاء وزرقاء. النافذة الواسعة تطل على الشمال. ومن النافذة الجانبية رأت حديقة الفيلا المزروعة بمختلف أنواع الأشجار المثمرة، الحمضيات والتين والرمان وغيرها من الفواكه المختلفة.

قالت سارة بينما كانت كيريا تودعها:

«شكراً كثيراً. أوه... افخاريستو بولي».

ابتسمت المرأة وغادرت الغرفة.

توجهت سارة الى الباب الزجاجي وخرجت الى الشرفة المليئة بالأزهار. ظلت واقفة تتأمل شجر الحمضيات وتنظر الى البحر الممتد بعيداً الى ما وراء المرج.

رن جرس الغداء في الوقت الذي كانت تستعد فيه سارة الى النزول فكانت قد استحمت وارتدت فستاناً قطنياً واسعاً. وكان جيلبير جالساً في الصالون فأشار اليها بالاقتراب.

«ما زال أمامك الوقت لتناول كأس صغيرة الآن. بعد تفكير هادئ، توصلت الى الاقتناع بضرورة اخذ اجازة مدتها اسبوعين قبل البدء بالعمل الجدي. خلالها يمكننا ان نستكشف المنطقة ملياً ومن دون عجلة».

قدّم لها الكأس وقال رافعاً كأسه:

«لنشرب نخب نجاح اقامتنا في قبرص!».

«أسفارنا الى الخارج دائماً مكللة بالنجاح. آمالنا لم تخب حتى الآن».

ظل برهة صامتاً، يعض على شفتيه ويفكر. اخيراً اعلن قائلا:

«هذه المرة، سأكتب شيئاً آخر، مختلفاً عن السرد الآلي للرحلة.

اشعر بأن هذه الجزيرة تستحق عملا مبدعاً... لنقل... عملا فنياً».

فتحت سارة عينيها الواسعتين مندهشة. فهي تعرف ان جيلبير يعمل على هذه الكتب ليربح المال والشهرة. ولم يسبق ان دخلت العاطفة في انتاجه.

«لا أعرف ابداً ما يجول في خاطرك».

«ولا أنا اعرف. لذلك أريد ان انتظر قليلا قبل البدء في الكتابة اشعر ان عليّ ان اترك نفسي تنغمس في الجو القبرصي قبل مباشرة التأليف والخلق».

وبالرغم من اندهاشها، وافقت الفتاة على العطلة التي ستتيح لهما استكشاف الجزيرة. وعبرت عن رأيها بامتنان وطيبة خاطر.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظت سارة في الخامسة بعدما دخل نور الشمس الى غرفتها. وبقيت ممددة برهة صغيرة تستمتع بهذا الجو الهادئ، ثم قررت النهوض. ولشدة دهشتها وجدت جيلبير في الصالون يقرأ كتاباً.

سألها ضاحكاً:

«ألم تستطيعي النوم، أنت ايضاً؟».

«بسبب نور الشمس. كان يجب ان أتذكر اغلاق النوافذ الخشبية».

«لا اتفق معك على هذا. البقاء في السرير في صباح كهذا، اضاعة للوقت».

كان يتأمل المنظر الأخضر الممتد حتى الكنيسة المنتصبة وسط آثار المدينة التي كانت قديماً مزدهرة وتابعة لمملكة لابيتوس القديمة.

أضاف جيلبير:

«في كل حال، سنضطر الى بدء العمل باكراً في الصباح. فالحر

سيكون قوياً في فترة بعد الظهيرة.

هزت رأسها. فهي معتادة على الحياة في الشرق وتعرف ان خلال فصل الصيف، يتوقف العمل عند الظهر ليستأنف من جديد في الرابعة. لكن جيلبير لا يستأنف العمل متى توقف. كان يقول دائماً بأن عقله قد شاخ.

اخذ فطور الصباح باكراً، وفي السابعة ذهبت سارة للتنزه على الطريق الضيقة التي سلكتها السيارة بالأمس. راحت تنظر باستحسان الى المنظر الأليف الذي يبدو لها جديداً كل مرة. البيوت البيضاء والزرقاء مثل اليونان، والمنازل النموذجية القبرصية المبنية من الكلس المستخرج من جبال كيرينيا، والتي اصبح لونها بلون الصلصال مع مرور الزمن.

لكن المنازل جميعها تتشابه من الخارج. فمداخلها مزينة بالزهور المختلفة ذات الألوان الزاهية والعديدة.

على يمين الطريق تمتد الصحاري الحصيات الى السهل الضيق الساحلي. لم تلتق سارة الا بعدد ضئيل من الناس، ذلك لكونها بعيدة عن قلب المدينة. غير انه، من وقت الى آخر، تظهر مجموعة من التلامذة، يرتدون المرايل الزرقاء ويحملون حقائبهم المدرسية على ظهورهم. في قبرص تبدأ المدارس في ساعة مبكرة وتنتهي وقت الغداء. كان التلاميذ والمارة ينظرون الى المرأة الأجنبية بعيون واسعة ولما كانت تحييهم قائلة «كاليميرا» بابتسامة كانوا يردون عليهم بالمثل. وبعضهم كان يسألها عن اسمها.

عرفت منهم انهم يأخذون دروساً باللغة الانكليزية في المدرسة فردت: «اسمي سارة»، لتسهّل عليهم فهمها. وكانوا يرددون «سارة» ثم يضحكون عالياً، حتى تختفي عن أنظارهم. تبتسم سارة وتكمل طريقها، فقريباً جداً سيعرف استاذ المدرسة ان فتاة

انكليزية تتنزه في القرية في السابعة والنصف صباحاً.

وصلت الى مفرق طرق وترددت لحظة قبل ان تختار الطريق المتجهة نحو اليمين. لكنها ما لبثت ان تساءلت بعد قليل عن سبب اختيارها هذا الاتجاه، فأدركت بأن ذلك عائد الى سماعها خرير المياه التي تطفر على الصخور، او ربما الى منظر الأشجار الرائعة والنباتات المتسلقة. ام يا ترى بسبب ذلك المنزل الرائع الذي أعطاها رغبة في النظر اليه من قريب. كان مبنياً وسط حديقة كبيرة ومتسماً بلمسات النبل والفخامة. امام المنزل رواق من الطراز التركي غابت الشمس عنه وهو في الظل الآن. اقتربت سارة وتوقفت امام الباب الحديدي وأطلقت زفرة تعجب لرؤية العشب الأخضر الكثيف الذي يكلف اموالا طائلة. غير انها سرعان ما رأت شلالا طبيعياً يهبط من الصخور التي تحيط بالمنزل في الجهة الجنوبية. هناك سيل ماء ينبثق من بين الأشجار. وفي كل الحديقة تتفتح الأزهار، وبعض اوراقها يتساقط كالفراشات فوق حوض السباحة.

وبينما كانت سارة تستعد للعودة، شاهدت فتاة صغيرة في حوالى الخامسة من عمرها، تخرج من الرواق. فستانها الأبيض المنشى، لا غبار عليه. شعرها الاسود المجدول مربوط بأشرطة حمراء. حذاؤها ابيض جديد. تحمل محفظة جلدية على ظهرها وكيساً ابيض صغيراً في يدها. هبطت السلالم، فابتعدت سارة وسمعت صوت امرأة تقول بلغة انكليزية متقطعة:

«انتبهي الا توسخي ثيابك. تعرفين جيداً ما يكون قصاص والدك اذا رأى بقعة وسخ على ثوبك».

لم ترد، وبعد قليل كانت جالسة في سيارة كبيرة قرب سائق. مرت سارة بجانب السيارة، فاشتبكت نظراتها بنظرات الفتاة الصغيرة وأصيبت بارتعاشة في ظهرها.

كانت ملامح الفتاة سيلة، بحيبها العريض وشعرها الأسود وفمها المتل. لكن عينيها . . وحدهما لفتا انتباه سارة وجعلتاها تشعر باضطراب قوي . . . عينان خضراوان غامقتان . . .

٢ـ لقاء فتاة صغيرة كبيرة!

ولدى عودتها الى الفيلا، فوجئت سارة بزائر يتحدث الى جيلبير. نهض الرجلان لدى دخولها الدار. فقال جيلبير مشيراً الى الرجل الغريب:

«اقدّم لك السيد برودهورست. وهذه سارة انجلوس، سكرتيرتي».

«انجلوس؟ انه اسم عائلة يونانية. لكنك انكليزية، اليس كذلك؟».

شرحت له وهي تسلّم عليه باليد:

«لكن العائلة التي تبنتني هي قبرصية يونانية».

«صحيح؟ انت اذن في الوطن؟».

ابتسمت وهزت رأسها وقالت:

«انني ازور قبرص للمرة الاولى. وعائلتي بالتبني كانت تعيش في انكلترا ومعها الجنسية البريطانية».

«آه، فهمت».

اخبرها جيلبير ان السيد برودهورست يسكن في قرية ايوس ميخايليس، على بعد كيلومتر واحد من لايتوس. لقد علم بوجودهما في الجزيرة وجاء ليدعوهما الى حفل بسيط، حيث بامكانها التعرّف الى اشخاص بريطانيين والى اصدقائه العاملين بالسفارات وبعض القبارصة والعسكريين التابعين للقاعدة العسكرية في ابيسكوبي».

«هذا لطف منك، يا سيد برودهورست...».

«ارجوك ان تناديني باسمي الصغير، كورني. هنا لا تنادي الاشخاص بأسماء عائلتهم.

أفهل ان يكون بامكاني ان ادعوك سارة؟».

هزت رأسها موافقة. وتابع يقول:

«سوف انظم هذا الاجتماع الصغير بنفسي».

ثم سأل جيلبير اي وقت يناسبه فأجابه:

«لا فرق عندي، انا حرّ الآن ولن ابدأ العمل الا بعد اسبوعين. اشكرك انا ايضاً».

«لا شيء يستحق الشكر. في قبرص الناس مضيافون. وبعد قليل، ستدركون ان هذا شيء طبيعي جداً».

«نعم، سمعنا ذلك، لكننا لم نكن ننتظر دعوة بهذه السرعة».

اكتفى كورني بالابتسام ثم نهض مستأذناً وقال:

«انتظرا قليلا فستجدان الهدايا على عتبة الباب».

«والهدايا؟».

«البرتقال، الحامض، البندورة، كل ما ينبت في الحدائق. وفي عيد الفصح، سيهديكما احدهم قالب العيد. وستصبحان من اهل البيت وستتلقيان دعوات لحضور الاعراس. فالقبارصة يحبون كثيراً رؤية الاجانب يحضرون احتفالات الزواج حتى ولو كان لديهم الف ضيف».

فتحت سارة عينيها اندهاشاً وقالت:

«الف ضيف!».

«في القرى، الجميع تقريباً مقرّبون الى بعضهم. فهناك الاعمام والعمات والخالات وابناؤهم، كلهم يأتون خصيصاً من القرى المجاورة».

«واين يجلس كل هؤلاء المدعوين؟».

«تعرفون من دون شك ان العروس تجلب معها مهراً. وهو كتابة منزل وقطعة ارض حوله. ويتم وليمة العرس هناك تحت اشجار الزيتون والحامض. كل شيء يكون رائعاً: الشراشف البيضاء والفضية التي يجلبها الاقارب كهدايا للعروس والطعام! لن تروا في اي مكان آخر مأدب كهذه».

توجه كورني نحو السلالم ليخرج وقال:

«نعم، ستفرحان بحضور زفاف قبرصي!».

اشار اليهما وداعاً وابتعد. وامام الباب الحديدي التفت وهتف:

«سأرسل اليكما بطاقات الدعوة خلال اسبوع تقريباً».

تمّ الاحتفال وراء الحانة الواقعة قرب نبع كيفالوفيزو الذي تنبع مياهه من شقّ في الصخر الواقع فوق مدينة لايتوس. ومن الحدائق يبدو منظر رائع للجبل الممتد حتى البحر، حيث تنعكس اشعة شمس المغيب. انغام موسيقى البوزوكي وصلت الى آذان جيلبير

وسارة عندما خرجا من السيارة قاصدين الحانة القريبة. كان الاستقبال تحت قبة من العرائش الخضراء. قدمها كورني الى اصدقائه. والجميع تمنوا لها اقامة سعيدة في جزيرة قبرص.

«آه، أين اصدقائي القبارصة؟».

نظر كورني حوله وقال:

«آه! اندرياس! اريد ان اقدّم لك سارة. . . هل شاهدت كارلوس؟».

«انه هنا يتحدث مع آل دينغ».

نظر اندرياس الى نحافة جسم سارة وقال:

«اخبرنا كورني انك تؤلفين كتاباً».

قاطعته سارة ضاحكة:

«لا افعل سوى مساعدة مديري».

تبعت نظرات كورني ولمحت ظهر رجل طويل القامة، شعره اسود وكتفاه عريضتان.

ناداه كورني، فالتفت الرجل نحوهم، ثم اعتذر من آل دينغ وتقدم نحوهما.

شعرت سارة بشحوب يحتلّ وجهها وبدأ قلبها يخفق بسرعة وخارت قدماها وصرخت:

«كارلوس!».

توقف كارلوس وراح ينظر اليها فترة من دون ان يفهم، ثم اقترب منها ببطء. لم يسمع كورني صياح سارة لانشغاله بأحد المدعوين. فاصيبت بدوار وهي تمدّ يدها للسلام. فشدّ كارلوس على يدها بقوة كادت ان تفقدها وعيها من شدة الألم. جاء احد ليعلم كورني بأن صاحب الحانة يريد ان يكلمه. فاعتذر وتركهما. وبقي كارلوس وسارة وحدهما على مدخل الحديقة.

لم يقل كارلوس شيئاً. همست سارة اخيراً وقالت:

«انا غير قادرة على التصديق. يا لهذه المفاجأة الحلوة!».

غالباً ما تساءلت اين يعيش، مقتنعة انه ما يزال يعيش في اليونان.

كان يجب عليها ان تدرك مكان وجوده، لأن قبرص هي وطنه الأم.

رددت قائلة:

«انا غير قادرة على التصديق».

فجأة شعرت بانزعاج، اذ اكتفى كارلوس بالتحديق فيها بعدائية وغياب النضج ظاهر على ملامح وجهه القاسي.

ظلّ صامتاً، وتساءلت ما اذا كان هذا اللقاء قد ادى به الى بعض التوتر كما حدث لها. حاولت البحث عن زوجته، وفجأة عادت الى ذاكرتها الفتاة الصغيرة ذات العينين الخضراوين. . .

«هل اليسون معك؟».

«ماتت اليسون بعد قليل من ولادة ابنتنا».

نفرت شرايين صدغيها، مؤكدة انفعالها القويّ، لكنه ظل يحدق بها ببرود.

«انا متأسفة، يا كارلوس. . . جداً متأسفة».

احتلها ألم عميق لهذا النبأ وتحسّرت عليه لخسارة زوجته باكراً، تلك الانسانة الوحيدة التي احبته، او بالاحرى الوحيدة التي شعر انها تحبه. ظلّ جامداً ولم تكن سارة تعرف اذا كان هذا اللقاء يفرحه ام لا. انزعجت وازاحت نظرها وسمعته يقول:

«هل تحبين الجلوس؟ هناك زاوية لطيفة تحت الاشجار. . .».

ابتسامة خفيفة ملأت وجهه. وشعرت سارة بسعادة كبرى لرؤيته بعد هذه السنوات الطويلة. فقالت:

«هل تريد ان تجلس. . . معي؟».
هزّ رأسه وبدا تعبير وجهه قاسياً الى درجة ان الفتاة ارتعبت. فقال:
«ليس لدينا ما نقوله، يا سارة».
وعن قصد ادار وجهه لينظر في مكان آخر. كان عدد من المدعوين جالسين تحت الاشجار وبعضهم قرب النار حيث تشوى اللحوم. ثم وصل عدد كبير من الرجال ودخلوا المكان في خطوات لا مبالية.
قال كارلوس لسارة من دون ان ينظر اليها:
«اعذريني. يجب ان احدث اصدقائي هناك».
قالت بصوت متوسّل:
«لا تذهب».
نظر باحتقار الى اصابع الفتاة الموضوعة على معصمه فقال:
«ذاكرتك ضعيفة، يا سارة. قلت لك ان اليسون ماتت. . . منذ خمس سنوات».
وباستمرار دفع يدها بعيداً واراد الابتعاد لو لم تصرّ عليه قائلة:
«لا افهم. لماذا تقول لي ان ذاكرتي ضعيفة».
التفت اليها وعلى لسانه جواب حاضر:
«منذ خمس سنوات، ارسلت اليك برقية لاشرح لك ان اليسون بحاجة للمال لاجراء عملية جراحية طارئة بسبب مشاركات تبعت الولادة. فقد نصحني الاطباء بأن اعالجها عند جرّاح مشهور في لندن، ولم يكن لديّ المال الكافي للسفر. وطلبت منك ان تقرضيني بعض المال».
توقف واحمرّ وجهه واضاف:

«لم افكّر ابداً اني ساهان يوماً، لكن لا مجال للكبرياء في هذه الظروف القاهرة».
نظر الى سارة التي كانت تضغط يدها المرتجفة على خدها بقلق، وتابع بصوت بطيء:
«لقد تجاهلت طلبي، ولما توصلت لاستدانة المال الكافي، كان قد فات الاوان».
انغمس داخل ذكرياته الخاصة بينما ظلت سارة جامدة، مذعورة، لا تصدق ما جاء في كلام كارلوس الذي اضطر ان يستعطي المال الذي يعود له حقاً، وماتت زوجته لانه لم يحصل عليه. . .
تكلمت سارة اخيراً بصوت خائف:
«لم استلم برقيتك. . . اقسم لك بذلك. لا شك انها وصلت عندما كنت غائبة عن انكلترا، فلا امكث في البيت الاّ نادراً جداً وذلك بسبب عملي الذي يتطلب اسفاراً متعددة».
نظرت اليه محاولة قراءة افكاره من تعابير وجهه واضافت:
«يجب ان تصدقني، يا كارلوس. . . نعم يجب ان تصدقني. هل تعتقد اني قادرة على تجاهل برقيتك؟ انت تعرفني جيداً. . .».
راح كارلوس ينظر اليها بامعان كأنه يبحث عن دليل لصدقها وقال:
«الم تستلمي البرقية؟ هل هذا صحيح، يا سارة؟».
«نعم صحيح جداً».
ظلّ يتفحصها، لكنها اضافت تقول:
«قل لي انك تصدقني، يا كارلوس. قل لي، ارجوك».
اخيراً هزّ رأسه وارتاحت ملامح وجهه واجاب بصوت هادىء:
«نعم، اني اصدقك».

ابتسمت وشعرت بسلام في قلبها ورددت بلهجة ناعمة ومليحة في آن واحد، قائلة:

«هل بإمكاننا الجلوس؟».

«طبعاً».

تناول كارلوس الكأسين وجلس قرب سارة كالغريب. فسألته سارة:

«قل لي ماذا فعلت؟ ربما تفضل ان اتكلم انا اولاً؟ انا هنا بسبب عملي».

«لست بحاجة ان تعملي، اليس كذلك؟».

انه تلميح للمال... الذي يخصه.

«يجب ان اعمل لأعيل نفسي».

«هل يجب حقاً ان تعملي؟».

صمتت لحظة باحثة عن الكلمات ثم قالت:

«لم امدّ يدي الى ثروتك. ولم يخطر ببالي يوماً ان اقبل هذا الارث».

اجاب بقسوة:

«المال لك».

«كلا، كارلوس، انه لك انت».

نظر في عينيها وقال:

«ما املكه هو ما ربحته من عرق جبيني».

ترددت على مسمعه ان ثروة والديه هي له وحده، فسألها:

«الم تصرفي منها شيئاً؟».

وعفوياً اقتربت منه وقالت:

«لا تلمني على ما حصل... ليس الذنب ذنبي اذا تبناني والداك.

لم اكن موافقة على الطريقة التي عاملوني بها».

توقفت لحظة ثم تابعت بلهجة اسف صادق:

«حزنت كثيراً عندما ادركت الوضع».

رمقته بنظرة متوسلة وقالت:

«الا يمكننا ان ننسى كل هذا ونكون صديقين».

احست تماماً ان كارلوس لا يشعر المشاعر نفسها، لكنها غير قادرة ان تدعه يذهب مرّة ثانية من حياتها فاضافت في لهجة اقناع:

«انه مهم جداً ان يكون للانسان احد عزيز على قلبه. انت، لديك ابنتك الصغيرة، اما انا، فليس لدي احد».

هل دفاعها أثّر به؟ هل ايقظ فيه رغبة الحنان الاخوي؟

وضع كأسه على الطاولة ببطء، ثم التفت لينظر اليها. كان مبتسماً بعد ان اضاء وجهه وقال:

«لا ارى مانعاً في ان نكون صديقين».

لمعت عينا سارة واحتلها شعور بالشكر وعرفان الجميل. فتأثرت وظلّت صامتة لحظة، ثم همست ببساطة:

«شكراً يا كارلوس».

ثم، لم يعد هناك توتر او انزعاج بينهما. ظلاّ جالسين يتنشقان اريج الازهار التي تحيط بهما. ومن الطرف الآخر للحديقة كانا يسمعان اصواتاً وضحكات واحاديث وانغاماً للبوزوكي الحزينة. وكان اربعة شبان فارعين يرقصون بمهارة وخفة.

«قلت لي انك تعملين؟».

قاطع كارلوس حبل افكار سارة. فقد خطرت في بالها فكرة رائعة تختص بالثروة التي اودعتها المصرف. متى حانت الفرصة المناسبة ستطلب من كارلوس ان يسمح لها بأن تحوّل هذا المال الى ابنته. واذا

وافق تكون قد تخلصت من حمل ثقيل.

تابع كارلوس يقول:

«من الصعب للأجانب ان يحصلوا على اجازات عمل. ماذا تفعلين هنا؟».

«اعمل عند الكاتب جيلبير غولغروف».

«انه يؤلف كتب الاسفار، اليس كذلك؟ لقد قرأت بعضاً منها. عملك ممتع، اليس كذلك؟».

«نعم، لأننا نسافر كل سنة. سنبقى في قبرص سنة كاملة وحين يزف موعد رحيلي من هنا، سنظل نراسل بعضنا، اليس كذلك؟».

«طبعاً».

قالت بعد تردد كبير:

«ربما بامكاني ان اقضي عطلتي معك؟».

اجابها في الحال، كأنه يشعر بقلقها:

«يكون الامر رائعاً. هل تريدين المزيد من الشراب؟».

قبلت ضاحكة. من زمان لم تشعر بسعادة كهذه.

عاد كارلوس حاملا صينية المازة المؤلفة من عدد كبير من الاطباق الشهيّة التي تؤكل كمقبلات، امسكت سارة كأسها وقالت:

«لنشرب نخب صداقتنا الجديدة؟».

رفع كارلوس كأسه وشربا معاً. وبعد فترة سألته سارة عن اسم ابنته فأجابها:

«أريان. لكننا نناديها ريّان».

«اريان. اسم جميل لمحتها ذات صباح عندما كنت اتنزه قبل الفطور. كانت في الحديقة وبعد ذلك رأيتها في السيارة معك».

«اتذكر اني التقيت بامرأة اجنبية».

«انا تسكن في لابيتوس، في فيللا يملكها اشخاص اميركيون اثرياء».

«عائلة ستيفيل؟ عرفت انهم اجّروا منزلهم لصديق لهم. انه مسكن فاخر، هل يعجبك؟».

اجابت سارة بحماس:

«انه رائع فعلا والمنظر الذي يطلّ عليه المنزل جميل للغاية».

هز كارلوس رأسه وقال:

«اثاروا اهتماماً كبيراً في القرية عندما بنوا هذه الفيللا. لم يسبق ان رأينا مثلها من قبل في لابيتوس».

«منزلك رائع ايضاً. من الخارج على الاقل. انه اقدم من الفيللا التي تسكنها».

وافق كارلوس معها واضاف يقول:

«كان منزلي خراباً عندما اشتريته. اعتقد انه سيعجبك بطريقة مختلفة عن اعجابك بالفيللا التابعة لآل ستيفيل».

«انا اكيدة بانه ساحر. بقيت مدة طويلة واقفة امام المدخل اراقب الحديقة التي اعجبتني كثيراً».

«يجب أن تأتي لزيارتنا قريباً. ستفرح ريّان بالتعرف على خالتها».

قال جيلبير لسارة قبل ان يذهبا الى النوم:

«يا للمفاجأة. لا يسعني التصديق انك التقيت بكارلوس هنا، لكني سعيد من اجلك، يا ابنتي».

«لا يسعني تصديق ذلك انا ايضاً».

ابتسمت ومن دون وعي كتفت يديها وقالت:

«لقد دعاني الى زيارته. هل بامكاني تلبية دعوته والذهاب في الغد؟».

«طبعاً. قلت لك اننا لن نبدأ العمل قبل مدة وجيزة. لم اختر بعد

نوع الكتاب الذي ساضعه. انه كتاب سفر، لأن هذا ما ينتظر مني، لكنني اريد ان افهم القبارصة لأدخل في الكتاب تجربتي الشخصية. فسيتجاوز الكتاب تحديد الاماكن والاديرة. ويجب ان يعكس الحياة في الجزيرة بأكملها».

اندهشت سارة ونظرت اليه برهة في صمت، ثم قالت بأن الجزيرة بدأت تفتنها. فأجاب:

«اظن اني ساصبح رجلا عاطفياً كلما كبرت في السن... واقلّ اهتماماً...».

لم تقل الفتاة شيئاً. بل عبر عينيها تعبير حالم. وتردد جيلبير لحظة قبل ان يضيف قائلا:

«اعرف ان الامر لا يخصني، لكن بما انك في الماضي قد وثقت بي وتكلمت معي بصراحة، اشعر بجرأة الآن ان اطرح عليك هذا السؤال:

«هل اقترحت على كارلوس ان تعيدي له الثروة التي ورثتها عن والديه».

اشارت بحركة سلبية وقالت:

«كنت اكيدة بانه سيرفضها. لكني انوي ان احولها لابنته. وآمل ان يسمح لي بذلك. هذا المال يشبه سلسلة ضيقة حول عنقي».

ضحك جيلبير وقال:

«يا ابنتي العزيزة، معظم الناس يشعرون بسعادة كبرى لامتلاك مثل هذه الثروة».

«لقد فكرت دائماً ان هذه الثروة تعود الى كارلوس ولذلك لم المسها».

«كيف يعيش كارلوس الآن؟».

«يملك مروجاً واسعة وبساتين ليمون في شمال غرب الجزيرة،

قرب موروفو... لقد تحدثت مع كورن قبل انتهاء الحفلة، فأخبرني ان كارلوس اصابه حظ يفلق الصخر. لكنه في البداية عمل كثيرا وبقسوة. وعدا هذه البساتين، يملك كارلوس ايضاً معملا لصناعة العلب. انه يعلّب عصير الفاكهة».

«لا شك، انه عمل بكدّ. اذا لم يكن يملك فعلا المال الكافي للذهاب الى انكلترا منذ خمس سنوات».

قالت سارة بصوت حزين:

«اليس ما حدث لاليسون امراً شنيعاً؟ كانت في عزّ شبابها!».

رمقها جيلبير بنظرة غريبة وقال:

«هل تغلّب كارلوس على هذه المحنة؟».

قطبت سارة حاجبيها وقالت:

«كان مضطرباً جداً عندما اخبرني بموتها، لكن... الظاهر انه تغلّب على هذه المحنة».

«ليس من عجب، فالزمن يمحو حدة المصيبة. بعد خمس سنوات، لا تنسي ان الوقت علاج الالم».

وافقت سارة معه وتساءلت لماذا حبها لكارلوس بقي حيوياً وقوياً الى درجة انها لم تفكر ابداً ان تتزوج من رجل آخر. كان دائماً موجوداً في عقلها.

وكانت لا تعرف سبب حبها المستمرّ. لقد اكتشفت حقيقة عواطفها تجاهه منذ ان كانت ما تزال فتاة صغيرة. والآن بعدما التقته من جديد بدأت تشعر بالسعادة لهذه الصداقة. لقد رأت بارتياح ان الحاجز الذي انتصب بينهما بسبب والديه تهدم في لحظات قليلة.

وبعد ظهر اليوم التالي خرجت سارة من الفيلا الحديثة العهد بخطى سريعة واتجهت نحو المنزل التركي الطراز حيث كان يعيش كارلوس وابنته.

استقبلها كارلوس على مدخل الحديقة، بسرواله الرمادي وقميصه الزرقاء. فابتلعت ريقها بصعوبة وحاولت بجهد الابتسام.

كم هو جذاب وواثق من نفسه! وتساءلت لماذا تفقد ثقتها واتزانها الداخلي معه. تكلم كارلوس بدهشة وفرح:

«هل هناك شيء على غير ما يرام؟ تبدين متقطعة الانفاس».

«اسرعت للمجيء. منذ الصباح وانا اشعر برغبة كبيرة في الوصول الى هنا».

وران صمت غريب. فتوجه كارلوس معها نحو المنزل وقال:

«لقد تغيّرت. لم تعودي مندفعة وعفوية كما كنت في الصغر».

رفعت رأسها لتنظر اليه وقالت:

«لم اعد اتذكر. هذا زمن قديم وبعيد جداً».

هزّ رأسه وقال:

«تسع سنوات! صبانا بعيد».

احمرت وقطبت حاجبيها وقالت:

«لسنا باشخاص مسنين».

«لستِ عجوزة ولسنا شباباً... انا على الاقل، لكن انت تصغرينني بخمس سنوات».

ما زال يتذكر عمرها! ابتسمت وقالت محاولة تغيير الحديث:

«هل ريّان هنا؟».

«نعم، لكنها وسخت فستانها ومربيتها ثولا تساعدها على تغيير ملابسها».

تذكرت سارة هيئة الفتاة النظيفة وكلمات الخادمة: «انتبهي الا توسّخي ثيابك. تعرفين ما يكون قصاص والدك اذا رأى بقعة على ثوبك».

ادخل كارلوس سارة الى الصالون وظلّت واقفة وسط الغرفة

معجبة بطرازها ثم قالت:

«انها رائعة. منزلك اقدم واجمل من منزلنا».

بدا مسروراً لهذه الملاحظة واشار الى مقعد مريح وقال:

«اجلسي، يا سارة».

«شكراً».

ظلت تنظر حولها وسألته:

«هل اشتريت هذه التماثيل والعاجيات من قبرص؟».

«كلا، معظمها جئت بها من مصر ومن لبنان. احب السفر وغالباً ما اجلب معي شيئاً من البلد الذي ازوره».

«جيلبير وانا ذهبنا الى مصر منذ سنتين، لكني لم اجد مثل هذه الاشياء هناك».

«يجب ان تعرفي اين تفتشين. فالمحلات القديمة الصغيرة ليست معروفة لدى السياح».

اتجه نحو خزانة زجاجية وسألها:

«ماذا تحبين ان تشربي، يا سارة؟ هل تحبين ان تتذوقي عصير الفاكهة المعلبة من صنع معملنا».

تناول زجاجة ورأت اسم انجلوس عليها. وبعد ان احتست جرعة من العصير قالت:

«انها للذيذة الطعم. انت تصنعها اليس كذلك؟».

«نعم...».

توقف عن الكلام وتلألأت عيناه الخضراوان فجأة فالتفتت سارة الى الوراء ورأت فتاة بأشدّ اناقتها ونظافتها واقفة على عتبة الباب.

«ادخلي، يا ريان. لا تخجلي. تعرفين من هنا، اليس كذلك؟».

هزّت الفتاة رأسها واقتربت. ثم مدت يدها بلطف وقالت كأنها تتلو امثولتها:

«صباح الخير، يا عمتي سارة. انا سعيدة بالتعرّف اليك».

وفي الحال توارى مزاج سارة المرح. هذا ليس التصرف الطبيعي لطفلة في سنها. ريّان فتاة جديّة كبيرة بالنسبة الى عمرها، فمن المسؤول عن هذا؟ الاب ام المربية؟

«وانا مسرورة ايضاً بالتعرف اليك، يا ريّان. هل تحبين الجلوس قربي؟».

المقعد كان واسعاً لكن الفتاة رمقتها بنظرة مترددة وقالت:

«اخاف ان ادعك فستاني».

توجهت الى كرسي آخر وجلست بتأن وانتباه وحذر. ثم كتفت يديها فوق ركبتيها وراحت تتأمل سارة مطولا وتقول:

«قال لي والدي انك تسكنين فيللا السيد ستيفل. كنا نزوره احياناً».

«آه، صحيح؟ اذن ستأتين لزيارتي؟».

القت ريّان نظرة الى والدها الذي كان جالساً على الاريكة فهزّ رأسه وقال:

«نعم، سنذهب لزيارة العمة سارة!».

«وسنتناول الشاي كما كنا نفعل مع السيد والسيدة ستيفل؟».

«طبعاً».

بدأت سارة تشعر بانزعاج منذ وصول الفتاة. كانت تفضلها سارة بأحذية وسخة وشرائط معكوفة. كانت تشبه لعبة او دمى في واجهات المحلات، جميلة، كاملة، مثالية... لكنها مجرّدة من اي شخصية. كيف يمكن لأبنة كارلوس ان تكون خالية من الشخصية الى هذا الحد؟ لا شك ان هناك من يخنقها. لكن من؟ رفعت عينيها ونظرت الى كارلوس بتفصيل. ولمع الجواب في عقلها كالبرق.

كارلوس يعامل ابنته هكذا كردّة فعل لآلام طفولته يريد ان يحميها حباً او يصرّ على تغيير ملابسها كلما لطختها ببقعة واحدة. ما العمل؟ تساءلت سارة وهي تنظر الى ريّان ووالدها مفكرة:

«لا يحق لي التدخل. ان ريان ابنة كارلوس وانا لست سوى غريبة. لكن اي اسف سيكون اذا لم تتغير هذه الفتاة! سينتهي بها الامر الى ان تشبه يوماً ما الانسان الآلي!».

٣ - الحب المردود

خلال الأسبوعين المخصصين للعطلة قبل البدء بالعمل كانت تمطر على جيلبير وسارة الدعوات من قبل القبارصة والانكليز. وخلال الأيام العشرة الأولى، حضر جيلبير وسارة خمس حفلات كوكتيل وثلاث دعوات الى العشاء وسهرة اقامها لينوس بيتسوس بمناسبة عيد ميلاد شقيقته كاترينا التي بلغ عمرها السادسة عشرة. كانت قد تمت خطوبتها من قبرصي يوناني ما زال يتلقى علومه في لندن. ولينوس كان يحضر جميع الاحتفالات التي دعي اليها جيلبير وسارة، ولم يخف اعجابه بالفتاة الانكليزية الشابة.

كان ثرياً ويبلغ السادسة والعشرين من عمره. ورث ثروة ضخمة عن والدته التي توفيت قبل سنة. يملك بناية كبيرة في نيقوسيا ويسكن

في شقة فيها مع شقيقته، لكنه يمضي عطل نهاية الاسبوع في قصره في ايوس غوريوس، البلدة الواقعة على شاطىء البحر. وامام واجهة الفيلا شرفة واسعة لأخذ حمام الشمس، مزينة بالزهور والنباتات المتسلقة. وهنا تم حفل عيد ميلاد شقيقته. فتحت الأبواب الزجاجية لكي يتمكن المدعوون من الدخول والخروج حسب راحتهم.

كان كارلوس وسارة جالسين في الدار عندما كان لينوس متوجهاً نحو الشرفة، فتوقف ليثرثر معها. وظل نظره محدقاً بوجه الفتاة ولم يبتسم الا لها. ثم تركها للقاء بقية المدعوين الجالسين على الشرفة.

ابتسم كارلوس بدوره وقال، بلا مبالاة وبصوت مليء بروح النكتة:

«انك لا شك تلاحظين اعجاب لينوس بك».

لم ترد عليه لكنها احمرت خجلاً. فأكمل كارلوس حديثه قائلاً:

«انه نصر لك، يا سارة، لأن لينوس لا يهتم عادة بالنساء. هناك عدد لا يستهان به من العائلات يتمنون ان يصبح لينوس صهر لهم، لكنه حتى الآن لم يعط اي اهمية لأي امرأة».

انطفأت ابتسامته. لا شك ان لاوعيه اخذه الى طفولته المتوحدة. فنادراً ما تبتسم شفتاه النحيلتان والقاسيتان، اما نظراته، فهي متحفظة وبعيدة كأنه ضائع في احلام كئيبة. وتتساءل سارة دائماً اذا كان كارلوس يتخيل زوجته الراحلة ويتذكر الأيام السعيدة القصيرة التي قضياها معاً. انه الآن لا شك منغمس بهذا النوع من الحلم في اليقظة. وكانت سارة تعرف جيداً انه سيحزن اذا قاطعت حبل تفكيره. اخيراً قطع الصمت بنفسه وقال في لهجة جدية:

«ألم تفكري ابداً بالزواج، يا سارة؟».

ران الصمت من جديد. ماذا تكون ردة فعله اذا قالت له السبب

الذي من اجله لم تفكر بهذا الموضوع ابداً؟

اخيراً اجابت:

«احب عملي. وهذا كاف ليمنحني الاكتفاء المطلوب».

التفت لينظر اليها مفصلاً. ومرت عيناه ببطء من جبينها الذي تنسدل عليه خصلات مجعدة من شعرها الأشقر الى ذقنها المدوّر، ثم الى عنقها الأبيض.

وردد رافعاً حاجبيه بخفة:

«هل هذا يكفي؟ لم اكن اعتقد ان الوظيفة تمنح المرأة كل ما تحتاجه. بصورة عامة، تشعر المرأة بحاجة غريزية لأن تصبح اماً».

ابتسمت سارة وقالت:

«ربما انا مختلفة عن الآخرين».

تعبير بعيد ارتسم على وجه الرجل، فمد ساقيه ونظر لحظة الى كأسه قبل ان يحمله الى شفتيه. ثم قال متثائباً:

«الظاهر ان لينوس لا يعجبك بقدر ما انت تعجبينه».

«اراه لطيفاً وعباً، لكني لا اشعر ابداً بالانجذاب له».

«هذا الشاب المسكين يضيع وقته! سيفاجأ القبارصة اذا لاحظوا لامبالاتك بسحره».

احتجت بسرعة:

«لم يغازلني وربما لا ينوي ذلك».

«صحيح؟ المستقبل سيوضح الأمر. لكني اذا لم اخطىء، فلن يتأخر لينوس في طلب يدك».

اندهشت وهزت رأسها. انها اكيدة انه مخطىء. وفي هذه الاثناء اقترب منهما جيلبير. جاء ليستعلم ماذا يفعلان في الداخل والليل في الخارج ناعم ومعطر.

اجابه كارلوس:

«لا اعرف».

ثم اقترح على سارة:

«ما رأيك لو نخرج الى الشرفة؟».

وافقت ونهضت من مقعدها. كانت ترتدي فستاناً قطنياً ناعماً وعلى معصمها تلمع اسوارة فضية اهداها اياها جيلبير في عيد ميلادها الخامس والعشرين.

سأل كارلوس الذي نهض ايضاً:

«الا تشعرين بالبرد؟».

ابتسمت وقالت:

«كلا».

وجدوا زاوية على حدة وجلسوا على المقاعد الزاهية الألوان وموسيقى البوزوكي الناعمة تملأ الجو، والمغنون يغنون اغنية حب حزينة تندمج مع الضحك والكلام.

قال جيلبير ماداً ساقيه الطويلتين:

«هذه هي الحياة. سأحزن اذا لم اتقاعد هنا».

كانت نظراته شاردة في الصخور وجبال كيرينيا المكسوة باشجار الزيتون والخروب وحيث تعشعش القرى الصغيرة.

سألت سارة ضاحكة:

«هل يتقاعد الكتاب؟».

«لا اعتقد. يواصلون الكتابة حتى لا يعودوا قادرين ان يقفوا على قدميهم. واعتقد اني لن اكون خلافاً لهذه القاعدة».

تدخل كارلوس بلهجة محبة اذ قال:

«لا شك ان مهنة الكاتب مهنة مثيرة؟».

كان كارلوس وجيلبير متفقين تماماً مع بعضهما وكانت سارة سعيدة ان ترى هذه الصداقة تنمو بالرغم من الفرق الشاسع من عمرها.

«وجدت ان كتابك عن اثيوبيا رائع للغاية».

«كنت متحمساً وسعيداً عندما كتبته».

همست سارة حالمة:

«انها بلاد جميلة. الشعب لطيف ومضياف. الناس رائعون بملامحهم السامية وابتساماتهم المبتهجة وكذلك الأولاد، اليس كذلك، يا جيلبير؟».

هز رأسه موافقاً. لكن كارلوس لاحظ هو يقول:

«اعجبني بصورة خاصة، المنظر حيث تصف دفن القساوسة».

تدخلت الفتاة وقالت:

«وعلامة الحزن، انه حقاً رائع، يعتقد المرء انه صوت الجرس، لكن في الواقع هو التقاء صخرة معينة بصخرة اخرى، حيث ينتج عنه رنة واضحة وموسيقية. لكن جيلبير يصفه في كتابه بطريقة افضل».

احمر وجهها قليلاً وسألت:

«هل تتذكر السيدة ستروميورغ، يا جيلبير؟ يا لها من امرأة غريبة!».

قهقهت ضاحكة فقال جيلبير:

«وكيف يمكن نسيانها؟».

ثم راح يشرح لكارلوس:

«تزوجت ثلاث مرات من ازواج كلهم اميركيو الجنسية. وكانت تملك الكثير من المال ولا تعرف ماذا تفعل بثروتها، لذلك كانت تبذرها بصورة شاذة. ومنزلها بغاية الجمال. شيدته على قمة جبل يطل على البحر. فأرضية الدار مثلاً، كانت مصنوعة من الزجاج السميك جداً. كما جلبت المرجان لأنه يجذب الاسماك الجميلة الملونة، انه منظر غريب ورائع. الاختراع الانساني يلائم هدف

الطبيعة».

سأل كارلوس:

«الم تجدا صعوبة في التفاهم مع الناس؟».

«الجميع تقريباً يتكلمون اللغة الانكليزية».

وبعد صمت قصير قالت سارة حالمة:

«الجميع يدعونك الى منازلهم. لماذا نحن الغربيين لا نقلد الشرقيين؟».

قال كارلوس باحتقار:

«المال طاغية في الغرب».

قطبت سارة حاجبيها وتساءلت ما اذا كان يفكر بالثروة التي ورثتها عن والده. بلعت ريقها واقترب كارلوس منها، لكن الهاوية ما زالت كبيرة بينهما. المال كان دائماً بالنسبة اليها حملاً ثقيلاً وكانت تتمنى ان تعطيه هيئة خيرية. لكنها كانت تفكر انه ليس لها حق التصرف به.

في عمق اعماقها كانت تأمل بأن تلتقي بكارلوس من جديد وترد له ثروته.

وفكرت بابنته المتصنعة برغم جهودها لتجعلها تتصرف بشكل طبيعي. وكانت سارة مقتنعة انه متى اقتربت اكثر من الفتاة بامكانها ان تتكلم عن المال مع كارلوس من دون صعوبة. ستقترح عليه ان تنقل الأرث الى ريّان.

قاطع جيلبير افكارها الحالمة وهو يتكلم من جديد عن اثيوبيا مع كارلوس الذي قال:

«يبدو لي ان اثيوبيا بلد رائع ومدهش. احب ان ازوره يوماً».

تدخلت سارة قائلة:

«آه! نعم، يجب ان تزور هذه البلاد! ستفرح كثيراً هناك».

«وربما اذهب يوماً».

ثم ابتعد بلنعه الى مكان ما. وتساءلت سارة: بماذا يا ترى، يفكر كارلوس الآن؟

عاد جيلبير ليضيف قائلاً:

«اعتقد ان الوقت قد حان للابتداء بالعمل».

«ستبدآن بالقيام بجولة حول الجزيرة، اليس كذلك؟».

«نعم. ربما نذهب اولاً الى بافوس».

«انها بعيدة جداً. ستمضون هناك بضعة اسابيع اليس كذلك؟».

«اسبوعين تقريباً. انها منطقة واسعة ولن نتوقف في كل الامكنة».

سألت سارة كارلوس:

«هل تعرف بافوس جيداً؟».

«كلا، لا ابقى هناك طويلاً. المنطقة لا تشمل فقط مدينتي بافوس وكتيما. انها معروفة خصوصاً باسطورة افروديت».

«رمز النسيم العليل على امواج البحر».

قال كارلوس بفضول:

«تبدين عاطفية يا سارة. لم يتهيأ لي ذلك في لقائنا الأخير».

اجابت بهدوء:

«لست عاطفية».

تدخل جيلبير وقال:

«سارة تعيش من اجل عملها. وقريبي يأمل بالزواج منها...».

هز رأسه ونظر الى سكرتيرته مبتسماً:

«اتساءل احياناً اذا لم يكن كولن يضيع وقته».

رفعت سارة كتفيها واجابت:

«انه يعرف ما هو تفكيري بالزواج. لا اعتقد انه يضيع حقاً وقته معي. ويوماً سيلتقي بالفتاة المناسبة وسندعى كلنا الى عرسه».

جاء عدد من المدعوين لينضموا اليهم وراح الحديث يتشعب الى مواضيع شتى.

جلس لينوس قرب سارة ونظر اليها مراراً في ابتسام. وردت عليه الابتسامة بتهذيب آملة ان تكون برودتها كافية لتعبر له عما تشعر به نحوه. لكنه لم يفهم. افهمته انها ستغادر لابيتوس عما قريب لتغيب مدة اقلها اسبوعان. فتجهم وجهه ولم يعلق على كلامها.

لكنها اضافت تقول:

«لن نبقى هنا كثيراً. علينا ان نكتشف الجزيرة».

ادركت ان كارلوس كان يصغي الى كل ما كانت تقوله للينوس.

لكنه لم يكن يبدو عليه الاهتمام بالموضوع.

حزن قلبها فكارلوس يهزأ من اهتمام الرجال بها واطلقت زفرة ضيقة. كارلوس اخوها بالتبني!... لكنه ما زال يعتبرها مثل اخته وعليها في المستقبل ان تفعل مثله.

٤ - اشعر بحزن كبير

اختار جيلبير الطريق التي تمتد على طول الساحل، فالبحر يطل على اليمين وسفوح جبال كيرينيا المليئة باشجار الزيتون والخروب، على اليسار. هنا وهناك فلاحة بثوبها الأسود تحرس قطيع غنم او ماعز. الربيع على آخر الأبواب لكن ازهار البنفسج ما زالت تتفتح على اطراف الطريق وكذلك ازهار الرمان الجميلة التي تضيف سحراً ناعماً على السياجات.

قال جيلبير مقاطعاً احلام سارة:

«انت صامتة على غير عادتك».

التفتت نحوه وابتسمت له واجابت:

«افكر بكارلوس وريان».

بعد تردد قصير سألها الكاتب:

«هل تشعرين برغبة في التحدث الي، يا سارة؟».

حدقت من جديد في الطريق امامها: فانعطفت السيارة الى اليسار نحو خليج مورفو واصبح البحر وراءهما.

«انت مثل ابي».

ليس هذا الرد سوى جواب جزئي لسؤاله فأضاف يقول:

«افتحي لي قلبك يا ابنتي. ربما هذا يساعدك».

«انا قلقة خاصة في ما يخص ريان. لقد شاهدتها، ولا شك لاحظت انها تشكو من نقص في الأمور الطبيعية الفطرية».

هز جيلبير رأسه وقال:

«ان الاسم واضح للغاية ومن السهل ملاحظته. هذه الابنة تشبه آلة صغيرة. واتساءل احياناً فيما اذا كانت تشعر بأي عاطفة».

قالت بعد صمت قصير:

«هل تساءلت ما سبب ذلك؟».

تذكرت سارة حادثة حصلت منذ اسبوعين عندما جاء كارلوس وريان ليتناولا طعام الغداء في الفيللا. وراحت سارة تلهو في تشعيث شعر ريان، فكانت ردة فعل كارلوس العفوية ان قطب حاجبيه. وبعدها عندما راحوا يلهون في بركة السباحة كانت سارة اول من غطس رأسه في الماء بينما كان ريان مجبرة على ان ترتدي قبعة السباحة بأمر من والدها.

اجاب جيلبير بعدما اوقف السيارة على جانب الطريق كي يفتح الطريق امام فلاحة كي تمر مع حمارها المحمل:

«بعد كل الذي اخبرتني اياه عن طفولة كارلوس، اعتقد ان تربيته لابنته ليست سوى مجرد رعاية فوق اللزوم».

«انا اوافقك الرأي كلياً».

«يخاف كارلوس الا تشعر ابنته بنقص في الحب. لا، الأمر اسوأ من هذا. يريد ان تكون ريان متأكدة في كل لحظة من حياتها انها فتاة مرغوبة. وهنا مشكلة نفسية دقيقة. الحل الوحيد هو شفاء كارلوس، النفسي طبعاً».

قالت سارة مندهشة:

«لا افهم».

«كان من المفروض ان يكون زواجه قد ساعده على الخروج من الانكماش على نفسه، لكن الظاهر الواضح، ان ذلك لم يحدث».

توقف جيلبير كأنه ينتظر من سارة ان تتدخل في الموضوع، لكن الفتاة دعته يتابع كلامه. فأضاف قائلاً:

«اذا كان الزواج لم يشفه من امراضه النفسية، هذا يعني ان ذلك الاتحاد لم ينفعه».

ظلت سارة تفكر فترة قصيرة ثم قطبت حاجبيها وقالت:

«ما زلت لا افهم».

«الأمر سهل للغاية، فلا احد اراده فعلاً».

صرخت سارة بحزن:

«آه! لا تقل هذا الكلام! زوجته... لا شك انها كانت واقعة في حبه».

«لا شك في ذلك. لكنني متأكد انه، اذا حصلنا على كل عناصر المشكلة سيتوضح لنا ان الحب الذي كان موجوداً في البداية بينهما لم يدم طويلاً».

«دام زواجهما اربع سنوات وثمرة حبها ريان».

كان الحزن يملأ صوت الفتاة:

«لا يمكنها ان تتحمل التفكير بأن كارلوس كان تعساً مع زوجته، اضافة لما عاناه طيلة حياته من طفولته الى سن المراهقة، الى النضج الذي ادى به لتكوين عائلة».

«بالعكس، هذا يدل على انهما لم يكونا متحدين بكل ما في الكلمة من معنى».

«تقصد ان...».

توقفت عن الكلام بعد ان احمرت وجنتاها، ثم اضافت بصوت مخنوق:

«انا اكيدة انك مخطىء».

غير انها راحت تتساءل ما اذا كان جيلبير على حق في استيعابه الرجل بوضوح. فاذاً لم يكن كارلوس بالفعل سعيداً مع البسون...

ابتلعت ريقها بعصبية وقالت:

«يحزنني كلياً تصور كون كارلوس لم يعرف معنى السعادة حقاً».

رمقها جيلبير بنظرة متسائلة قبل ان يركز من جديد انتباهه على القيادة. ودخلت السيارة في منطقة مليئة بالمروج الخضراء. لكن سارة كانت تنظر الى هذا المنظر الخلاب تائهة في احلامها، وتفكيرها منصب كلياً على كارلوس.

فقال جيلبير بلهجة غير مقتنعة:

«ربما انا على خطأ».

وفهمت انه يحاول تهدئة مخاوفها. لكن فات الأوان. فكرت بما قاله جيلبير وشعرت بألم لأنها فشلت عندما حاولت الاقتراب منه... لو نجحت، لما تزوج كارلوس من اليسون.

ادارت نظرها نحو النافذة، تخاف ان يقرأ جيلبير افكارها من خلال تعبير وجهها. اخيراً قالت:

«لا شك ان كارلوس وزوجته كانا يحبان بعضهما جداً عندما قررا ان ينجبا ولداً. لا اعتقد ان زواجهما كان غير موفق».

«لقد قلت لك انهما لا شك كانا سعيدين في البداية. عندما وهبت اليسون حبها قبله كارلوس بالحاح وسرعة. كان شاباً وينقصه النضج. اعتقد انهما لم يحبا بعضهما بعمق. لو احاطته زوجته بالحب الحقيقي والعاطفة الصادقة، لتوصلت الى مساعدته في الخروج من هذا الانكماش الذاتي القوي لكنه لم يشف والدليل هو كيفية تصرفه مع ريان».

رفع كتفيه وابتسم ثم اضاف:

«عدنا من جديد الى نقطة الانطلاق».

«وريان؟ ولدت خلال اربع سنوات زواج».

«ربما احدهما وحده رغب في الانجاب».

«تعني انها جاءت من دون حب؟».

«ليس هذا غريباً، خاصة في الشرق. لا تنسي ان كارلوس رجل شرقي حتى لو كان والداه قد حصلا على الجنسية البريطانية، وهو نشأ وترعرع في انكلترا».

تخيلت وجه كارلوس القاسي كأنه مصقول بالطين، وكذلك ملامحه الكلاسيكية وبشرته الجافة وجبينه العريض. نعم، انه قبرصي يوناني ويملك كل مميزات اسلافه.

فانغمس كل منهما في افكاره. ما زالت الشمس منخفضة في السماء لأنهما غادرا الفيللا في ساعة مبكرة. وكانا ينويان التوقف في اماكن عديدة قبل الوصول الى بافوس، وبالاخص زيارة قصر فوني. لكن في الوقت الحاضر ما زالا في منطقة المروج والبساتين التي يخصبها نهر غرين سيراخيس. بينما الجزيرة ككل هي بلاد جافة خلال جزء كبير من السنة. ومعظم القبارصة الاغنياء، ومن بينهم كارلوس،

يملكون هذه الاراضي، كما يملك ايضاً بساتين اخرى في منطقة ... وفكرت سارة ان كارلوس عمل بقسوة ليتمكن من تملك كل هذه الاراضي، هو الذي كان بغنى عن كل هذا التعب والارهاق ... حاصلاً على ثروة نائمة في الوقت الحاضر في المصرف! وحبها لكارلوس هذا الرجل الذي ما زال حتى الآن، وهو في سن الثلاثين، متأثراً بطفولته التعسة، تأثيراً كبيراً حتى المرارة. وجدت سارة انه ليس بامكانها ان تفعل شيئاً لابنته وبأسف شديد فهمت انه من المستحيل عليها ان تصحح الاخطاء التي يرتكبها كارلوس ... اطلقت زفرة، فرمقها جيلبير بنظرة سريعة خفية وقال:

«ماذا هناك، يا ابنتي العزيزة؟».

ابتسم ليخفف عن حزنها وقال:

«دعك من انشغال البال، فليس بوسعك ان تفعلي شيئاً».

«ادركت ذلك الآن، ان مشكلة ريان لا تجد الحل الا بشفاء كارلوس لكن كيف باستطاعته ان يتحرر من نفسه؟».

«يجب عليه ان يتزوج امرأة تقدم له كل حب وحنان، لتعوض عليه ما خسره منذ طفولته حتى الآن. وخاصة... ان تعرف كيف تشعره منذ البداية انها تريده وبحاجة ماسة اليه».

توقف جيلبير لحظة وابتسم بانفعال هذه المرة. وشعرت سارة غريزياً انه يفكر بزوجته التي توفيت سنتين قبل ان تبدأ العمل لديه. وكانت تعرف انهما كانا سعيدين للغاية.

«والرجل يجب ان يعرف ان الشخص الآخر بحاجة ماسة اليه. لا تنسي ذلك، يا سارة، عندما تتزوجين، وسيأتي هذا اليوم عما قريب، مهما كانت وجهة نظرك بهذا الموضوع. من الضروري ان يشعر الرجل ان زوجته لا يمكنها ان تتخلى عنه. وآمل ان يلتقي كارلوس

يوماً ما بامرأة كهذه، لأني احببته كثيراً».

سكت جيلبير ونظر حوله كأنه نسي الموضوع الذي شغلهما خلال هذه الرحلة وسارة التي تعرف الكاتب جيداً اخرجت دفتراً صغيراً من حقيبة يدها فراح يملي عليها حتى وصلا الى فوق. اوقف جيلبير السيارة امام منزل الحارس الذي اقترح عليهما بأن يكون دليلهما. وقام الثلاثة معاً بدورة حول المدينة. ثم طلب جيلبير من الحارس ان يتركهما بعدما شرح له انه يؤلف كتاباً وانه يرغب الآن ان يبقى وحده مع سكرتيرته.

هتفت سارة الواقفة على قمة هضبة تكتشف البحر الأزرق الغامق:

«يا له من مشهد رائع!».

البحر يمتد حتى جبال آسيا الوسطى. وقممها تبدو براقة تحت الشمس. والى جنوب الهضبة ترتفع جبال ترودس وقممها البركانية. فسفوح الجبال ومنحدراتها كانت مكسوة بأشجار الصنوبر. من هنا وهناك سيل ينبثق في داخل المضيق.

قالت الفتاة باندهاشة فرح:

«هذا جمال يقطع الانفاس!».

لم يقل جيلبير شيئاً بل راح يلتقط صوراً. جلست سارة على قطعة بناء عائد الى هيكل اثينا القديم وراحت تدون انطباعاتها الشخصية التي كان جيلبير يستعملها داخل كتابه. كان يقول ان ما تكتبه يدخل تنويعاً جميلاً الى الكتاب. في البداية كانت خجولة ومتواضعة الا تريها لجيلبير، لكن جاء يوم واصر عليها الكاتب ان يراها. ومنذ ذلك الوقت وهو يتكل على مساعدتها بشكل كامل.

وضع آلة التصوير في علبتها وابتسم ثم قال وهو يجلس قربها.

«انت لؤلؤة. قلت لك منذ قليل انك ستتزوجين في احد الأيام... طبعاً ساكون فرحاً ان اراك سعيدة، لكن اعرف تماماً انني لن اجد سكرتيرة مثلك. انت تفهمينني جيداً يا سارة. انت لا تعملين عندي بل تعملين معي».

ابتسمت بفرح وقالت:

«هذا لأني احب ما افعله، من دون شك. وانا ايضاً اعتقد انني اعمل معك».

توقفت قليلاً ثم اضافت بلهجة اعتذار:

«اخشى الا اكون قادرة على ان اعتبرك مديري بل صديقي الحميم. سأحزن كثيراً اذا قررت يوماً ما ان تأمرني، حتى ولو كان ذلك من اجل ان تذكرني بدوري وواجباتي».

ابتسم وهز رأسه وقال:

«لا تقلقي من هذه الناحية. انا حريص عليك وحدك. وتذكري دائماً انني هنا عندما تكونين بحاجة الي. لا تحملي وحدك حمل الثقيل لكن آمل الا يحصل لك ان تحملي حملاً ثقيلاً طيلة حياتك».

نظرت الى البحر البعيد وجبال تركيا وراحت تحلم... حبها لكارلوس ليس حملاً تحمله منذ زمان بعيد. لم يكن يرهقها او يضنيها. لكن الآن فبالعكس، انها تشعر بكل ثقله. لا تريد ان تفكر باليوم الذي ستغادر فيه الجزيرة وتبتعد عن كارلوس الذي شعرت بقربها منه لأول مرة في حياتها. تعرف انها ستكون على السعة والترحاب متى شاءت ان تأتي الى منزل كارلوس. وكذلك هو بامكانه ان يأتي الى الفيللا متى اراد. وعدة مرات جاء مع ريان ليأخذ الشاي مع جيلبير وسارة. واكتشف الرجلان ان لديهما اشياء كثيرة يتفقان عليها وخاصة حبهما للأسفار.

وابنها دعي كارلوس، ينتظر وجود اخته معه. فكانا يلتقيان في الاحتفالات. يرقصان مع بعضهما ويتبادلان الأحاديث الشيقة. ومرة او مرتين رفض جيلبير الدعوة، فكان كارلوس يوصل سارة الى الفيللا بسيارته. وبعد وقت قصير اختفى التوتر بينهما. كانا يحبان بعضهما مثل اخ واخته، وقررا الا يبتعدا ابداً. هذه العلاقة الأخوية اعجبت كارلوس وبالتالي كانت سارة مسرورة بذلك. تفكر بهذه الصداقة الحميمة، وتتذكر كلمات جيلبير الذي قال مرة: «لا احد اراد كارلوس حقاً».

وتذكرت بمرارة انها حاولت يائسة ان تقنعه بصدقها وكانت دائماً تريده ان يعرف انها كانت تحبه محبة اخت لأخيها.

نهض جيلبير وراح يتمشى حالماً بين الاثار داخل القصر. حملت سارة دفترها الصغير الذي وضعته على حجر من الرخام وتوجهت نحو الكاتب. وخلال نصف ساعة كان جيلبير يملي عليها وهي تكتب، لكن ذهنها كان بعيداً وتفكر بالحديث الذي جرى حتى الآن عن كارلوس وابنته. واخيراً اقتنعت بأن كارلوس لن يشفى من ميله للانكماش على الذات الا يوم يلتقي امرأة بحاجة ماسة اليه.

هل تنجح باقناعه بصورة تدريجية وباستمرار، انها تحبه بشغف وانها غير قادرة ان تعيش من دونه؟

رأته بعد اسبوعين لدى عودتها من بافوس. مر كارلوس على الفيللا في بعد ظهر يوم حار وكان عائداً لتوه من نيقوسيا حيث قام ببعض الأعمال. واخبر سارة بأن ريان بقيت هناك عند عائلة صديقة له.

سألت سارة خائبة الأمل عندما علمت بذهاب ابنة اخيها:

«هل ستبقى متغيبة مدة طويلة؟».

لم تنجح بعد في الاقتراب من الفتاة بشكل كاف، لكنها تفرح برفقتها.

من جهة اخرى، كلما ازدادت رؤيتها للفتاة وجدت حظاً كبيراً لاستمالة محبتها. وبعد ذلك يصبح بامكانها ان تفتح موضوع الارث مع كارلوس وتقترح عليه ان تحول هذه الثروة الموروثة الى ريان.

اجاب كارلوس بعد ان جلس على مقعد قربها:

«ستبقى حوالى اسبوع هناك».

قدم له جيلبير علبة السكائر، لكنه رفض قائلاً:

«اقفلت مدرستها في الوقت الحاضر، بسبب تحسين المبنى وترتيبه. لا اعرف لماذا اختاروا هذه الفترة من السنة لهذه الأعمال ما دامت العطلة الصيفية ستبدأ خلال شهرين. كان باستطاعتهم تأجيل اعمال البناء للصيف».

رفع عينيه عندما اقترب منه جيلبير ليسأله ماذا يحب ان يشرب. كانت سارة تتأمله بينما كان جيلبير يسكب له كأساً منعشاً. وراحت تتساءل: مع من بقيت ريان؟ مع امرأة من دون شك. كانت على وشك ان تطرح عليه الاسئلة لكنها حبست كلماتها بين شفتيها. ليست قريبة الى كارلوس لدرجة ان تطرح عليه اسئلة شخصية.

سأل كارلوس الكاتب كيف امضى اقامته في بافوس. فأجابه:

«اقامة رائعة، لكننا عملنا كثيراً. سنبقى هنا ثلاثة اسابيع لكتابة ما دوناه من معلومات. لقد زرنا قصر فوني. انه رائع جداً».

«القصر ليس قديماً كما كنا نعتقد. يعود الى القرن السادس عشر وبني في العهد الذي كانت فيه الجزيرة منقسمة بين الذين يدعمون اليونانيين والذين يدعمون الفرس. لكنك تعرف كل هذه الأشياء يا جيلبير».

«نعم، قرأت كتب التاريخ، لكني اهتم كثيراً بسماع رجل قبرصي يكلمني عن بلاده».

ابتسم كارلوس وقال:

«لم امارس كوني قبرصياً الا في المرحلة الأخيرة من حياتي ولذلك لا يمكنني ان اقول انني اعرف اشياء كثيرة عن قبرص».

«لكنك تعرف العادات والتقاليد والفولكلور والأعياد التقليدية في القرى. . .».

هز كارلوس رأسه وجرع جرعة من كأسه. وفجأة بدا وكأنه بعيد جداً، كأن الحديث لا يهمه. قطبت سارة حاجبيها. كارلوس ينكمش احياناً على نفسه من دون سبب واضح. بماذا يفكر؟ شعرت بضرورة اعادته الى الواقع فقالت بسرعة:

«جيلبير مستعد دائماً ان يطلب مساعدتك. انه يستعمل دائماً المعلومات المباشرة عندما يكون ذلك ممكناً».

تلألأت عينا كارلوس، فأجاب:

«حسناً، يا سارة».

إبتسمت له ونظرت اليه بعينين ناعمتين، فكارلوس لا يبتسم عادة، لكنه هذه المرة التفت اليها بابتسامة صادقة.

فقال جيلبير:

«شكراً، يا كارلوس. كنت آمل ان انال عونك. هل تبقى معنا للعشاء؟».

بعد لحظة تردد ووافق على قبول الدعوة. ونظرت سارة اليه وتأكدت من انه فرح بصدق.

ولما نهض كارلوس ليودع سارة وجيلبير، دعاهما الى العشاء في مساء اليوم التالي، فقبلا دعوته شاكرين، لكن في صباح اليوم التالي اصيب جيلبير بألم حاد في رأسه في آخر النهار، فلم يكن قادراً على

الخروج فقال:

«ستذهبين وحدك، يا سارة وتعتذرين عني لدى كارلوس، اليس كذلك؟».

«نعم طبعاً. . . لكني لا احب ان اتركك لوحدك».

ابتسم لها وقال:

«يا ابنتي لست مضطرة على العمل طيلة الوقت. اذا كنت تعملين في مكتب ما، فلن تعملي ساعات عديدة كهذه».

«عندما يحب الانسان ما يفعله، فلا يعتبره عملاً».

توقفت عن الكلام ولمحت بريق حنان في عيني جيلبير فقالت:

«بامكاني ان اتصل بكارلوس هاتفياً. . .».

قاطعها قائلاً:

«يجب ان تذهبي. سأدخل الى فراشي بعد قليل ولا سبب في بقائك هنا. سيفرح كثيراً في ان تكونا وحيدين لمرة واني اكيد ان لديكما اموراً كثيرة بحاجة للتوضيح في ما بينكما».

اقترح عليها ان تأخذ السيارة لكنها فضلت ان تذهب مشياً على الأقدام فمنزل كارلوس لا يبعد الا مسافة كيلومتر واحد عن الفيلا.

كان كارلوس في بزة مريحة وانيقة من الكتان الأبيض، تؤكد نحافته وقميصه الأبيض يظهر بشرته الجافة. قطب حاجبيه بقلق عندما شرحت له سارة سبب تغيب جيلبير.

«يقول ان الحر يزعجه احياناً».

«عادة، الحر ليس قوياً في ايار (مايو). هل تعتقدين ان جيلبير بحاجة الى طبيب؟».

«لا اعتقد. انه يعاني احياناً من آلام الرأس. لا شك ان ذلك

عائد لتعب النظر، لكن هذه الآلام سرعان ما تختفي بعد راحة ونوم هادىء».

اما سارة فكانت ترتدي فستاناً واسعاً ورقيقاً. وراح كارلوس ينظر اليها كأنه يلاحظ جمالها لأول مرة. كانت عيناه تحدّقان بشعرها القصير المجعد، وكتفيها السمراوين، وارتعش كأنه شعر بندم من اعماقه. ازاحت سارة وجهها، مضطربة، يختلجها شعور عنيف.

لكن سرعان ما اختفى انزعاجها وابتسمت له بعفوية رائعة. رد عليها بابتسامة لطفت ملامح وجهه. فانتفض قلب سارة وادركت بخوف انها سلكت طريقاً خطرة، لكنها لم تعد قادرة ولا تريد ان ترجع الى الوراء ولمدة لحظة قصيرة تذكرت ان كارلوس يعتبرها شقيقته، لكنها شيئاً فشيئاً بدأت تتخيل مستقبلا رائعاً يتجاوز آمالها المجنونة.

دعاها الى الجلوس وسكب لها كأساً، وشعرت بارتياح وهي ترد على الاسئلة التي كان يطرحها كارلوس عن حياتها وعملها. وتجرأت ان تسأله هي بدورها. فعرفت انه غادر اليونان منذ سنوات قليلة وجاء الى قبرص ووجد عملاً في مكتب.

«مديري كان راضياً عن عملي. ومات فجأة تاركاً لي ارثاً ساعدني على الانطلاق. فاشتريت بستاناً للحمضيات قرب فاماغوستا. وبعد مرور زمن قصير شهدت المدينة امتداداً سريعاً بسبب السياحة واصبح سعر الأرض مرتفعاً. كذلك عاودني الحظ فعقدت صفقة مع رجل يملك بساتين في مورفو. كان مصراً على العمل في المدينة لبيع الابنية وتأجيرها. وقمنا بعقد تبادل. اراضيه كانت اوسع من اراضي، لكنها اقل قيمة».

«وقال لي جيليبر ان احدهم اقترح عليه شراء قطعة ارض على سفح

التلة القريبة من الفيللا. وهو يفكر بشرائها وبناء منزل اذ بامكانه ان يتقاعد هنا ويقضي آخر سنوات حياته».

«انها فكرة رائعة. انصحه ان يشتري في الحال. وسيكون له اجمل منظر في الجزيرة».

واكمل كارلوس قصصه الكثيرة وعلمت سارة انه اشترى بساتين اخرى في فاماغوستا ومورفو.

وبعدها قرر ان يعلب عصير الفاكهة التي تنبت في بساتينه. والآن يفكر في توسيع مصنعه الذي يقع في ضواحي نيقوسيا.

«يجب ان تكون فخوراً بنجاحك، اليس كذلك؟».

هز رأسه بصورة آلية وتناول كأسه. شعرت انه بدأ يبتعد عنها. وتساءلت ما اذا كان يفكر بزوجته الراحلة. فسألته:

«منذ متى تسكن هذه الفيللا؟».

«منذ سنتين. احتجت الى سنة كاملة لترميمها».

«اذن، اليسون... لم يتسن لها ان...»

لم تكن تنوي التحدث عن اليسون. انخفض صوتها حتى انطفأت الكلمات في حنجرتها. راحت تنظر في وجهه عن ردة فعل، لكنه اكتفى بهز رأسه والاجابة بصوت حزين.

«لم تعرف اليسون الراحة التي يجلبها المال. عرفت كل الصعوبات من دون ان تنال اي مكافأة».

كان ينظر بعيداً الى الشمس التي تغيب وراء الافق. وراحت الوان السماء تميل من الأحمر، الى الاصفر العنبري، الى الذهبي. اطلقت سارة تنهيدة صغيرة.

فرفع حاجبه متسائلاً.

«اني... اني اشعر بحزن كبير».

تحاشت نظراته وحدقت بمحتوى كأسها. انحنى كارلوس الى

الوراء على مقعده وبعد صمت طويل رفع عينيه وقال اخيراً.

«كل هذا يعود الى الماضي».

جاء خادمه معلناً ان العشاء جاهز ولم يتكلما بهذا الموضوع خلال السهرة كلها.

٥- يوم بطالة

ودخلا من الشرفة الى غرفة الطعام ذات السقف المرتفع والمضاءة بنور الشموع الناعمة. الشمعدانات الفضية تزيّن وسط الطاولة والزهور العطرة تزيد سحراً غريباً على الديكور. ومن زاوية الغرفة تنبثق موسيقى البوزوكي الناعمة من آلة الاسطوانات. الارض مفروشة بالسجاد العجمي والابسطة الجميلة تملأ الجدران. انه منزل رجل ذي ذوق رفيع. وغياب اللوحات والايقونات تؤكد اتجاهه الى الشرق.

بدت لها حرارة الغرفة منعشة عندما دخلا اليها. فالتفت اليها كارلوس ليسألها اذا كانت تشعر بالبرد لكنه اصطدم بها بعنف الى درجة انه مد يديه غريزياً ليتمسك بها كأنه يخشى ان يراها تقع امامه.

«انا متأسف. . .».

انطفأ صوتها عندما رفعت عينيها البراقتين نحوه لتلفت انتباهه. . . وتكشف له عن سرها.

«سارة. . .».

همس باسمها في صوت ناعم كأنه نسيم يلاعب ورق الشجر الاخضر في ليلة عطرة. انخفض رأسه ولاحظت خيوطاً ذهبية على صدغيه واحست بلهاثه على خدها. اغمضت عينيها. كانت تعرف انه يرغب في عناقها.

وقال في لهجة مفاجئة كأنه يرميها بماء بارد:

«سارة. . . انا متأسف فعلاً، كدت ان تفقي بسببي».

انتفضت عندما فتحت عينيها ورأت على وجهه ملامح الذنب والندم.

ماذا يعني ذلك؟ ابتعد عنها لكنها ما تزال تشعر بيديه الدافئتين وصلابة جسمه الذي اقترب منها لحظة قصيرة. ظلّ ينظر اليها مندهشاً مذعوراً كأنه لم يفهم تصرّفه.

«كنت على وشك ان اسألك اذا كنت تشعرين بالبرد. بامكاننا ان نشعل النار في المدفأة فوراً».

هزّت رأسها بحزن ازاء شعورها بخيبة امل مرّة:

«كلا، يا كارلوس. لا اشعر بالبرد ابداً».

حاولت الابتسام كأن شيئاً لم يكن لكنها لم تكن قادرة ان تطرد هذه الحادثة من رأسها. وانتهت بالتفكير والاقتناع الداخلي بأن كارلوس لم يكن ينوي عناقها كما ان تعبير وجهه الغريب، اي تعبير الشعور بالذنب، ثم اندهاشه وذعره، لم تكن سوى خيال وهمي.

ولما تمكنت من ابعاد هذه الافكار عن رأسها، شعرت باسترخاء مع كارلوس.

بعد العشاء، تناولا القهوة على الشرفة. وكان حديثهما خفيفاً بل مثيراً. الجوّ كان دافئاً وودياً. واذ لاحظ كارلوس توترها خلال العشاء، تصرّف بشكل طبيعي جداً.

سألها قاطعاً الصمت:

«هل حضرت عرساً قروياً؟».

«وجدنا دعوتين عندما عدنا الى الفيللا. ولا نعرف من يكون اصحابها».

«اهل العروس والعريس يدعون الجميع. . . القبارصة شعب مضياف ولا يفكرون لحظة واحدة في ترك احد على حدة وخاصة انت وجيلبير».

«اخبرنا كوري عن الامر وقال هناك احياناً الف مدعو الى العرس».

«هذا صحيح. الجميع هنا مقربون واصدقاء».

«عندما يكون للمرء عائلة كبيرة لا يشعر ابداً بالوحدة».

«فعلاً».

عاش كارلوس طفولة وحيدة، مرفوضاً من والديه، يغار من شقيقته الى درجة انه رفض حتى ان تكون له صديقة. عرف بعد اربع سنوات هي فترة [illegible] وبعد [illegible] زوجته عاد الى وحدته مع طفلته الصغيرة. اربع سنوات خلال عمر يتجاوز الثلاثين لا تعني الشيء الكثير.

راحت سارة تفكر بوضعها. . . صحيح ان والديها بالتبني دللاها وغمراها بالهدايا لكنهما لم يعيشا الا لبعضهما وذلك حتى الموت.

وبعد وفاتهما، عاشت سارة حياة متوحدة. كانت تعيش وحدها في شقة صغيرة وتعمل في مكتب صغير. ولم يتغيّر نمط حياتها الا عندما بدأت تعمل لجيلبير. ومنذ اليوم الاول بدأ الكاتب يهتم بها. وبسبب

هذا الوضع المميز لم تشعر سارة بالوحدة ابداً. وبعد قضاء ثلاثة اشهر في العمل لديه بدأت ترافقه في اسفاره الى الخارج. لم تكن تقاسمه فقط عمله، بل حياته العصرية ايضاً. نصحها ان تترك شقتها، فلماذا تدفع ايجاراً وهي دائماً متغيّبة عن لندن؟ واقترح عليها السكن عنده عندما يعودا من اسفارهما. هكذا كان يعاملها معاملة الأب لابنته. وفكرت بان حظها كان اقوى من حظ كارلوس. فكانت محاطة بانسان طيّب تستشيره في الاوقات الصعبة. ومن جهة ثانية كان لكارلوس ابنة من دمه ولحمه. ومع ذلك فهو دائماً وحيد وبالتالي لديه الوقت الكافي ليفكر بماضيه ويقدره الذي كان مختلفاً كلياً عن قدر اصدقائه.

وحيال هذه الافكار سيطرت عليها الرأفة، وارتسم على وجهها بريق حنون. ووجدت بنظرات كارلوس التعبير نفسه الذي لاحظته من قبل، انه ندم مرتبط بالحاضر وليس بالماضي كما كانت تتوقع.

غير انه غيّر فجأة تعبير وجهه وابتسم لها. ولاحظت الى اي درجة يجذبها. عليها اذن ان تكون متبصرة، لكنها لم تكن قادرة ان تمتنع عن الابتسام له.

قالت بأسف بعدما القت نظرة الى ساعة يدها:

«اعتقد ان الوقت قد حان كي اعود الى المنزل».

اجابها كارلوس وهو يقف في الحال:

«نعم. الوقت متأخر وسأوصلك».

«لا حاجة لذلك. هنا بامكان المرأة ان تتنزه وحدها بامان في الليل. هذه حسنات الجزيرة، حيث الجرائم تعد على الاصابع!».

«الجرائم تقريباً غير موجودة. انا من دون شك الشعب الاكثر احتراماً للقانون».

ثم نظر اليها قائلاً:

«هل احضرت سترة تضعينها على كتفيك، فالليل بارد نسبياً».

«لا. لا اشعر بالبرد».

«الحرارة منخفضة. سأجلب لك سترة من عندي وبامكانك ان تضعيها على كتفيك».

ارادت الاحتجاج لكنه كان قد دخل الى المنزل وعاد بعد قليل حاملاً بيده السترة وقال آمراً:

«استديري».

اطاعت فوضع السترة على كتفيها، فارتعشت عندما التصقت يداه بها وذقنه بشعرها. ثم ادارها بهدوء نحوه وراح ينظر اليها مفصلاً قبل ان يقول بصوت حنون:

«اني سعيد اننا التقينا اخيراً، يا سارة. ولا يجب ابداً ان نبتعد عن بعضنا كلياً».

«لا، يا كارلوس، ابداً».

كان يجب ان تفرح لكلماته، لكنها شعرت بالانهيار من جديد لأن صوته وعينيه لا تعبر الا عن محبة اخوية عميقة.

تأبط ذراعها وخرجا من المنزل. الممرّ كان محاطاً باشجار الخرّوب والاغصان تتلاقى ببعضها فوق رأسيهما. اجتازا الجسر الحجري حتى وصلا الى الساحة حيث المقاهي، الانوار تلمع وراء الزجاج وعلى الشرفات والرجال يلعبون الورق.

قال كارلوس بمزاح:

«لم يصدقوا بعد ان لي شقيقة. اتساءل ما اذا كانوا يصدقون انك شقيقتي».

اجابت بسرعة:

«الم تحدث احداً عني من قبل؟».

هزّ رأسه قائلاً:

«كلا. لم افكر ابداً اننا سنلتقي يوماً».

توقف ورمقها بنظرة اعتذار واضاف:

«كنت الومك لقلة حساسيتك الى درجة اني كنت اقول واردد انه حتى اذا التقينا، سأرفض ان اتعرف عليك».

شدّ على ذراعها بلطف وقال:

«آسف لحكمي الخاطىء عليك. انا سعيد جداً لأننا التقينا من جديد».

وبصمت استمرا في التنزه معاً على طول الطريق التي تصل بهما الى الفيللا. اجتازا بساتين الحامض المشهورة بها لابيتوس فالجميع هنا الفقير والغني، يزرع اشجار الحامض في ارضه. حتى الاجانب الذين تقاعدوا في الجزيرة يملكون اشجار الحامض في حدائقهم. الاضواء تظهر من وراء النوافذ الخشبية التابعة للمنازل الصغيرة، والجوّ عابق بعطر الحدائق. من بعيد، على قمة تلة صغيرة، ظهر شبح دابة نهيقها ثقب الصمت. لكنها توقفت اخيراً وسمعا رنين الاجراس الصغيرة المعلقة في اعناق الماعز المنتشرة على القمم الخضراء. هنا وهناك عائلة تثرثر على شرفة منزلها والجميع ينظرون اليهما بابتسام:

«كالي نيختا (ليلة سعيدة)، يا كارلوس».

«كالي نيختا، يا اندرياس».

«مساء الخير آنسة سارة. ستأتين مع السيد جيلبير الى عرس ابنتي، اليس كذلك؟».

«طبعاً وشكراً جزيلا لدعوتك. كالي نيختا».

ضحك اندرياس ولمعت اسنانه البيضاء على وجهه الاسمر وسألها:

«هل تتكلمين اليونانية؟».

«كلا».

توقفا امام الباب الحديدي فنهض اندرياس من مقعده واقترب منهما.

اضافت سارة:

«اعرف كلمات قليلة، لكن كل الناس تعرف ان تقول «ليلة سعيدة» باللغة اليونانية».

نظر الى السماء المليئة بالنجوم وقال:

«ليلة جميلة. هل تحبين قبرص؟».

«جداً. جزيرتكم رائعة كلياً».

«في انكلترا، المطر يتساقط باستمرار. ابني دخل الجامعة هناك. وخبرنا انه يخاف من الغرق لكثرة ما تمطر».

ابتسمت وقالت:

«الطقس ليس سيئاً كلياً. احياناً لدينا ايام جميلة».

رفع الرجل كفيه ورأت سارة وراءه زوجته وابنتيه. فصمتت. من النادر ان تقاطع المرأة رب العائلة عندما يتكلم لكن زوجته قالت:

«في انكلترا الايام المشمسة نادرة. بينما هنا الطقس جميل دائماً. لا تمطر قطرة واحدة من ايار (مايو). الى تشرين الاول (اوكتوبر)».

«صحيح، الطقس مختلف في انكلترا عما هو في قبرص. لكن الحرّ لا يطاق احياناً في قبرص».

«اذن يجب ان تذهبي الى جبال ترودوس».

قالت سارة لكارلوس بعدما اكملا طريقهما:

«جيلبير يخصص شهري تموز (يوليو) وآب (اغسطس) لزيارة جبال ترودوس. قيل له ان بامكانه استئجار منزل هناك بسعر زهيد نسبياً».

«صحيح. القبارصة يتصرّفون احياناً بغرابة في ما يتعلق بالاعمال. مرّة اقترح احدهم على احد اصدقائي ان يقيم في فيللا

صغيرة لقاء مبلغ من المال. وكان بامكانه ان يبقى هناك الوقت الذي يريده».

«لكن يكون بامكانه اذن ان يبقى هناك بصورة نهائية».

«في هذه الحال اعتقد ان المؤجر سيطلب منه ان يدفع ايجاراً جديداً».

ضحك وتغيّرت ملامح وجهه. تحب سارة ان تجعله يضحك في اغلب الاوقات.

وراحا يتسلقان ممراً ضيقاً وصخرياً، لا يمكن للسيارات والآليات ان تجتازه. انه «قادومية» للمتنزهين. اشجار الخروب والزيتون والدلب تشكل قبة سميكة خضراء لا يمكن للنور والقمر ان يخترقها. وفي شبه الظلام كل شيء صامت لا يتحرك. ارتعشت سارة. انه منظر رومنطيقي.

اصابع كارلوس تضغط بقوة على ذراعها. وتهيأ لها انه يفرض على نفسه واجباً قسرياً كأنه منشطر الى اتجاهين معاكسين. انها فكرة غريبة لكنها لم تكن قادرة على طردها من ذهنها. وظلت متيقظة وهي في فراشها مدة طويلة تفكر بأن كارلوس ربما يصارع ضد نفسه. وما هما هذان الاتجاهان المعاكسان اللذان يحطمانه؟

وحتى الفجر، لم تكن سارة قد وجدت الاجوبة على هذه الاسئلة. ربما كانت ضحية مخيلتها، لكن هذا الحل لم تكن مقتنعة به. غير انها بعد ان تناولت فطور الصباح المؤلف من عصير البرتقال الطازج والخبز المحمص مع الزبدة والمربى، شعرت بتوتر اقلّ واصبح بامكانها ان تكرّس نهارها للعمل الذي تحبه.

سألها جيلبير عندما جلسا الى المائدة لتناول العشاء:

«هل تقبلين اكمال العمل بعد العشاء؟ اريد ان انهي الفصل».

اجابت سارة بحماس:

«طبعاً، وانا ايضاً احب انهاء الفصل».

ابتسم جيلبير واجاب ببساطة:

«شكراً، يا سارة».

ولما توقفا عن العمل في الساعة الحادية عشر والنصف، اقترح عليها ان تأخذ يوم عطلة نهار الغد. فاحتجت للحال. لكنه هددها ضاحكاً انه اذا لم تطعه فيستعمل سلطته لأول مرة.

«وماذا سأفعل بنهاري؟».

«ولماذا لا تأخذين بعض الراحة والاسترخاء. اسبحي وتمددي تحت الشمس. هذا لن يضرّك صدقيني».

وصل كارلوس في الوقت الذي كانت فيه سارة تستعد للصعود الى السيارة والتوجه نحو شاطىء البحر. فشرح له جيلبير في ابتسامة:

«استحقت سارة ان تأخذ يوم عطلة».

راح كارلوس يتفحص سارة وقد ارتدت مئزراً مفتوحاً مظهراً عن «مسباحة» صفراء. ونسيت سارة كلياً وجود جيلبير وتهيأ لها انها وحيدة مع كارلوس. كانا ينظران الى بعضهما من دون كلام. اخيراً قال كارلوس:

«وانا ايضاً ارغب في السباحة هل بامكاني المجيء معك؟».

تلألأ وجهها بابتسامة عريضة واجابت بسرعة:

«طبعاً، يا كارلوس. لست مصرّة الى الذهاب وحدي».

كان جيلبير يحدق بكارلوس، ثم بحركة من رأسه استدار نحو سكرتيرته ونظر اليها باهتمام فلاحظ احمرار خديها والبريق السعيد في عينيها. فقطّب حاجبيه لحظة ثم ابتسم لهما وقال:

«يجب تناول الغداء معنا، يا كارلوس، بعد عودتكما الا اذا كنت مرتبطاً بعمل ما...».

«سأسر للأمر. شكراً جيلبير».

ثم قال موجهاً كلامه لسارة:

«يجب ان امرّ على البيت واجلب بزة السباحة».

بعد ساعة، كانا يسبحان في شاطىء الكابولكو. من لابيتوس حضرا بالسيارة ولم يتكلما خلال الطريق. وبعد ان اوقف كارلوس السيارة، تناول مناشف الحمام من المقعد الخلفي وقال:

«لم اكن اتوقع الخروج معك عندما ذهبت الى الفيللا صباح اليوم. جئت لأدعوكما الى كوكتيل ساعقده في فندق الهيلتون في نيقوسيا نهار الجمعة المقبل».

هبطا من السيارة وتوجها نحو الشاطىء المهجور نسبياً. وبعد مكوث نصف ساعة تقريباً في الماء، تمددا على الرمل ليجففا جسميهما الملوّحين اسمراراً. خلفهما تنتصب جبال كيرينيا، وقممها المشرقة تبرز بوضوح تحت السماء الزرقاء.

«هل تحبين ان تشربي شيئاً، يا سارة؟».

التفتت سارة اليه، فرأته يحدق بها بنظرة غريبة.

فشعرت للحال بالاحمرار يعلو خديها. وقبلت الاستسلام لانفعالاتها رغم وعيها الكامل للمخاطرة التي تتعرض لها، لكنها لم تكن تقوم بأي جهد لتتحاشاها.

«احب ان اشرب كوب ليموناضة».

نهض كارلوس ثم سألها:

«تريدين ان تشربيه في المقهى او اجلبه لك الى هنا؟».

«لنذهب الى المقهى. سنكون في الظلّ هناك».

جلسا تحت العرائش وسألها كارلوس بعدما جلب خادم المقهى المشروبات المنعشة:

«ألا تريدين شيئاً آخر؟ الست جائعة؟».

هزت رأسها وقالت:

«كلا، شكراً. اذا اكلت الآن افقد قابليتي وقت الغداء».

وراحت تنظر الى البحر الازرق وتهمس قائلة:

«لا موجة، لا تجعيدة... لم ار من قبل بحراً هادئاً كهذا».

«البحر جميل اليوم. امضيت وقتاً طويلا في اليونان. انه بلد احبه كثيراً.

لكن ما ان وصلت الى هنا حتى شعرت بضرورة الاستقرار في قبرص. اشعر بأنني عدت الى وطني منذ اللحظة الاولى في هذه الجزيرة».

«لماذا اخترت لابيتوس بالذات؟».

«في البداية، عشت في شقة صغيرة في نيقوسيا. ولما اكتشفت لابيتوس، شعرت برغبة لأن اشتري فيها منزلا. وكان المنزل الاول صغيراً جداً، اي مؤلفاً من غرفة في الطابق الارضي وغرفة اخرى في الطابق الاول».

«صحيح؟».

«انه منزل غريب. اعتقد انك كنت ستحبينه فهو مبني على قمة تلة. الغرفة في الطابق الارضي كانت تستعمل كدكان لبائع متجوّل، اما الغرفة في الطابق الاول فكانت تخص خبّاز القرية. كان للمنزل مدخلان، واحد تحت وثان فوق. اما انا فبنيت سلماً متعرجاً حتى لا نضطر ان نقوم بدورة المنزل كي نذهب الى فراشنا، كما كان يفعل التاجر الاول الذي كان يعيش هناك مع زوجته واولاده الثمانية».

«ثمانية اولاد! اين كانوا ينامون كلهم؟».

بالفعل كانت سارة في هذه اللحظة بالذات تفكر بالبيسون التي عاشت مع كارلوس في هذا المنزل الذي يبدو جذاباً. اجابها كارلوس:

«كانوا يستعملون الغرفتين. لكن في الصيف كان من الممكن جداً

ان يناموا في الخارج. انا كنت معتاداً ان انام في الصيف على الشرفة. . . ».

توقف عن متابعة الكلام مدركاً بعد فوات الاوان ما قاله، لكنه استعاد وعيه بسرعة وتابع يقول:

«كنت احب ان ارى الشمس تشرق وانظر الى النجوم في الليل. هل سبق أن نمت في الهواء الطلق، يا سارة؟».

هزت رأسها شاردة، اذ كانت تفكر باقوال جيلبير. هل كان كارلوس ينام في الهواء الطلق لأنه كان يشعر ان زوجته لم تكن تريده؟ وربما شعرت اليسون هي ايضاً انه لا يريدها. ادركت بعد قليل ان كارلوس بانتظار جواب، فأسرعت تقول:

«كلا. . . لكن لا بدّ ان ذلك رائع. هنا الليالي دافئة وعطرة».

ثم اضافت بحزن:

«للأسف هناك مشكلة بالنسبة اليّ، لأني لا اطيق لسع البعوض».

«هل تقلقك وتبعد عنك النوم؟».

«حتى الآن، انا على ما يرام، لكن بعد اسبوعين سيزداد عددها وانا دائماً اعاني منها في البلدان الحارة».

«هذا لأنك كنت دائماً تعودين الى انكلترا. اذا بقيت هنا، ستكون عندك مناعة ضدها».

«هل تعني ان البعوض لن يلسعني؟».

«بالطبع. البعوض لا يفتك بالمواطنين الاصليين!».

«قال لي احدهم ان اهم نجاح حققه الانكليز في قبرص هو انهم انقذوا الجزيرة من البعوض، لكنهم لم ينجحوا كلياً».

«لقد تغلبوا على البعوض الذي يحمل مرض الملاريا».

هزّ كارلوس رأسه وقال:

«نعم. لم يعد هناك وجود لهذا النوع من البعوض كلياً. البقية الباقية تزعج لكنها ليست خطرة، فهي تشبه البعوض الذي تعيش في انكلترا».

«لكن عددها اكبر».

«ربما».

سكت لحظة ثم تابع يقول:

«اذا رأيت عدداً كبير منها في حديقتك، عليك اعلام المختار. سيرشها بمسحوق سام».

«صحيح؟ هذا امر مهم. اذن بامكاننا الفتك بها اذا ما وجدنا مكاناً تتكاثر فيه».

«نعم. بالضبط».

سألها كارلوس اذا كانت تريد شراباً آخر. رفضت سارة، فعادا الى الشاطىء، وجلسا برهة يثرثران قبل ان ينزلا الى الماء مرّة اخرى. خرجت سارة من الماء قبل كارلوس وجلست وحدها ممددة على رمل بينما كان كارلوس يسبح بعيداً، وتكاد لا تراه. ولما عاد لاحظت الاسترخاء في وجهه المشع.

ولأول مرة ادركت انه سعيد، يحب الحياة. . . فانتفض قلبها فرحاً.

قالت عندما قررا العودة الى الفيللا:

«انها بطالة رائعة».

«بالفعل. يتهيأ لي انني في عطلة».

«وانا ايضاً».

وللحظة لم تفكر بشيء. لكن من جديد ارادت ان تطرح عليه الاسئلة. لكنها تمالكت نفسها كي لا تسأله عن المرأة التي وضع ريّان عندها. لو كان يريد ان يخبرها بالامر لفعل ذلك بنفسه. هذا الامر

شديد الغرابة. فلو انها صديقة حميمة لأخبرها عنها. لم تكن سارة قادرة على التصوّر ان بامكان كارلوس ان يكون عنده صديقة، حميمة يبدو ان كل رفاقه رجال. . .

«هل جف جسمك؟».

اعطاها المنشفة فأخذتها لتزيل الرمل عن ذراعيها وساقيها. ثم ناولها مئزر الحمام فارتدته بعدما ارتعشت لالتصاق يديه بكتفيها. كان قربها وشعرت برغبة الانضمام اليه كلياً.

قال بصوت هادىء وناعم:

«احبّ لو بامكاني ان اقود سيارة جيلبير لكني لا اجرؤ على سؤاله اذا كان يسمح لي بذلك».

ادارها نحوه وهو يتكلم. رفعت عينيها ونظرت الى وجهه الاسمر وتساءلت اذا كان يدرك حقيقة عواطفها او يسمع دقات قلبها السريعة. فارتعشت هي التي نجحت دائماً في تمالك اعصابها، لكن قوة هذا الرجل المغناطيسية سيطرت عليها. هذا الرجل الذي هو شقيقها بالتبني.

«لا اعتقد ان جيلبير يمانع. . . اذا كنت تفضل ان تقود بنفسك سيارته. . . اعرف ان الرجال يشعرون بأمان اذا كانوا يقودون السيّارة».

احنت رأسها جانباً بحركة رائعة وطفولية. فراحت شفتا كارلوس ترتجفان وقلبه يخفق بقوة. نظرت اليه وهي تبحث عن شيء تقوله لكي تقطع هذا الصمت العميق المضطرب الذي كان يعمّ في هذه اللحظة. لكن كارلوس هو الذي قال بصوت هادىء وناعم.

«حسناً. سأقود السيارة بنفسي».

اضاف يقول:

«هل يعجبك ان تتنزهي معي بعد ظهر اليوم؟ بامكاننا ان نقود

على طول الساحل باتجاه كريلس ونتوقف في مكان ما لنحتسي القهوة؟ هل تعتقدين ان جيلبير يستاء لهذا الامر؟».

«بل سيكون سعيداً حين يراني اغيّر الرتابة وآخذ هواء منعشاً».

٦ - معاً على الطريق

بعد ان قطع كارلوس مسافة ٤٠ كيلومتراً على طول الساحل، خفف من سرعة السيارة وسأل سارة اذا كانت تحب زيارة قرية اكانتو. هزت رأسها ايجاباً. لا يهمها اين تذهب بقدر ما يهمها ان تكون قربه. اجتازا مناظر ذات جمال تمجد الخالق وتقطع النفس. التلال المتموجة تحد سهلاً ساحلياً ضيقاً حيث تنمو الازهار الشائكة، والقمح والشعير.

شرح كارلوس:

«لا يوجد طريق تجتاز قرية اكانتو. فجبل اوليمبوس الذي يرتفع شمالاً يشكل حاجزاً صعباً».

كانت القرية فعلاً غريبة وتملك سحراً غير اعتيادي. اوقف

كارلوس السيارة على جانب الطريق ثم نزلا معاً. وفي البداية لم يلتقيا بأي كائن بشري. فهمست الفتاة تقول:

«يا لهذا الهدوء. . . . والسكون! هذه القرية تسحر الالباب. . . . آه، ها اني ارى شخصاً!».

ابتسم الرجل الغريب وقال باللغة الانكليزية:

«اهلاً وسهلاً الى قريتي. هل بامكاني ان اقدم لكما المشروبات المنعشة؟».

كان الرجل اسمر البشرة، قصيراً وسميناً، ذا شعر اسود وعينين سوداوين كالفحم. اشار الى باب حديدي ودعاهم الى ساحة منزله.

اجاب كارلوس وسارة في الوقت نفسه:

«شكراً جزيلاً، نعم نحب ان نشرب شيئاً منعشاً».

قال موجهاً حديثه الى سارة:

«امي تحضر الآن بوظة الرمان الحلو. . . هل سبق ان ذقته، يا سيدة؟».

«نعم. احب هذا النوع من البوظة بشكل خاص».

سأل الرجل وهو ينظر الى كارلوس:

«هل انتما في عطلة هنا؟».

انه يحاول معرفة السبب: لماذا هذا القبرصي يتنزه مع هذه الفتاة الانكليزية!».

«هل انت زوجته؟».

اجاب كارلوس ضاحكاً:

«هذه المرأة هي اختي».

«اختك؟ انكليزية وانت قبرصي».

اجابه كارلوس باختصار:

«تماماً».

لكن بعد فترة وجيزة شعر بالجرأة تجاه هذا الرجل الذي كان يشعر بفضول قوي.

فشرح له من دون حقد في صوته:

«تبق والداي سارة».

كان يبدو فرح المزاج كأنه نسي كلياً ما حدث له في طفولته فاضاف:

«كان والداي يعيشان في انكلترا وكانا صديقين لوالد هذه الفتاة».

«هذا لطف منهما ان يربياها».

في هذه الاثناء خرجت امرأة من حجرة معتمة وهي ترتدي الملابس السوداء. ابتسمت لهما ترحاباً وهمست شيئاً باليونانية. فترجم كارلوس وهو يضع ذراعه حول كتفي سارة.

«مرة اخرى. . . تقول لنا اهلاً وسهلاً».

رافقها الى الكرسي فجلست سارة واستدار كارلوس نحو المرأة ليثرثر معها باليونانية. وبعد قليل قال لها ابنها كلمة فاختفت داخل المنزل، فقال الرجل لسارة:

«امي لا تتكلم الانكليزية. ذهبت تجلب لكما شيئاً للشراب».

جلس قرب كارلوس وراح يتفحص الفتاة. ابتسمت داخلياً وفكرت في الوقت نفسه انه لم يسبق ان رأت كارلوس يتأمل النساء هكذا. بل بالعكس يبدو وكأنه لا يبالي بهن.

سأل الرجل:

«هل تعيشان في قبرص؟».

واضاف في الحال انه يدعى غلافكوس ووالدته تدعى مارولا.

اجاب كارلوس بأنه يعيش في الجزيرة بينما جاءت سارة الى هنا للعمل:

«ومديرها يؤلف كتب الاسفار».

«هل سيكتب عن قبرص؟».

اجابت سارة مبتسمة:

«نعم. سنبقى هنا سنة تقريباً».

«واذا كتب عن قريتنا فسيؤمها السياح».

احتجت قائلة:

«ولكن، لستم بحاجة الى السياح».

نظرت حولها: البساتين والتلال والبيوت المربعة البيضاء ومداخلها المزروعة زهوراً والنباتات المتسلقة. . . لا ضجة ولا صوت. . . قرية تنتعش تحت الشمس اللاهبة، النوافذ الخشبية مغلقة للحماية من الضوء القوي والحر القاسي.

«وانها قرية هادئة ورائعة جداً. السياح سيسيئون الى كل هذا السكون والروعة».

قطب غلافكوس حاجبيه ورفع كتفيه العريضتين وقال:

«ولكنهم يجلبون المال وهذا ما ينقصنا هنا. انظري: بيلاي مزدهرة لأن السيد روويل كتب عنها. عدد كبير من الأجانب يقصدونها، كما يعيش فيها عدد لا بأس به من الانكليز. وهذا يدر على القرية المال الكافي لتزدهر وتعمر».

قال كارلوس وهو يهز رأسه:

«لن تشبه الكانتو بيلاي ابداً».

«صحيح. . . ليس عندنا كنيسة وهذا ما يحبه الأجانب».

سأل كارلوس سارة:

«هل زرت اي كنيسة هنا يا سارة؟».

«مرة زرت كنيسة برفقة جيلبر. لكننا لم نبق هناك سوى وقت قصير. اعتقد بأن المجال سيسمح لنا بزيارتها مرة ثانية».

«ولدي اصدقاء يعيشون قرب كنيسة . . . فنان وزوجته . سآخذك لزيارتهما يوماً».

«يعيش هنا عدد لا بأس به من الفنانين. اليس كذلك؟».

«انه المكان المثالي لهم».

رفع عينيه عندما وصلت مارولا حاملة صينية المشروب وقال في اليونانية:

«المعذرة لأننا عذبناك».

كان وجه مارولا يشع فرحاً. واجابت بأنها فرحة جداً لاستقبال الزائرين.

سأل كارلوس وهو يقرب كرسياً آخر:

«هل تنضمين الينا؟».

نظر اليه غلافكوس بدهشة. ليس من عادة القبارصة دعوة النساء الى الجلوس.

نظرت مارولا نحو ابيها ثم هزت رأسها ببطء وابتسمت مرة اخرى قبل ان تدخل المنزل. نظرت سارة الى كارلوس. نعم انه يشعر مثلها انه يجب على غلافكوس ان يدعو والدته الى الجلوس واحتساء الشراب معهم.

راح الثلاثة يشربون ويثرثرون ومر الوقت بسرعة. اخيراً اعلن كارلوس انه حان وقت العودة.

توقفا في قرية صغيرة في طريقهما ليحتسيا الشاي فجلسا في حديقة مقهى فارغ الا منهما. الحديقة مزروعة باشجار الحامض والبرتقال. وخلفها بستان واسع محمي من الرياح بصف من شجر السرو. امام المقهى يمتد الحقل حتى التلال ومن ثم تبدأ الجبال.

قال كارلوس:

«هل تعرفين اسطورة افروديت وكيف ولدت؟».

«اعرف ان بافوس هو المكان الذي ولدت فيه افروديت».

«لا، ولدت افروديت من رغوة الموج. هناك قصة مختلفة حول ولادتها في الياذة هوميروس، لكن الأمر اكثر شعرياً ان تلد من البحر».

«اعرف ايضاً انه كان لها عشيق يدعى ادونيس قتله خنزير بري. انه موت محزن. لكن الاساطير غالباً ما تنتهي نهاية غير سعيدة».

«ادونيس لم يكن سوى واحد من عشاقها. فزوجها ايفايستوس كان رمز النار عند اليونان».

ضحكت سارة وكانت تحب لو يكمل كارلوس قصصه حول الاساطير اليونانية، لكنه نظر الى ساعة يده وقال ان الوقت قد حان ليعودا الى لايتوس.

كان جيلبير يقرأ على الشرفة ما كتبه خلال النهار. ولما رآهما وضع اوراقه على الطاولة وسألها مبتسماً:

«هل قمتما بنزهة جميلة؟».

اجابت سارة بحرارة:

«كانت نزهة رائعة وموفقة. ذهبنا الى قرية اكانتو وفي طريق العودة توقفنا في مقهى صغير واحتسينا الشاي».

نظر اليها كارلوس بغرابة فاحمرت لادراكها الحماسة الزائدة لديها. ليس من الغريب او المدهش اجتياز اربعين كيلومتراً على طول الشاطىء والعودة بالطريقة نفسها. اعتذرت سارة من الرجلين وصعدت الى غرفتها. ومن نافذتها المفتوحة راحت تتأمل السهل الضيق الذي يهبط حتى البحر.

ضمت يديها المرتجفتين وفكرت: هذا الجنون يجب ان ينتهي. . . لا يبدو ان كارلوس يشعر بشيء تجاهها غير العاطفة الاخوية. واليوم عندما شرح لغلافكوس مدى قرابته بها، لم يتردد لحظة واحدة. نعم،

يجب عليها من الآن فصاعداً ان تتحل بالتعقل، والا ذاقت امر العذاب واضاعت فرصة العمر لأجل طويل.

«سارة، كم انا مسرور لرؤيتك!».

توجه لينوس نحو الفتاة بينما كانت تدخل الى قاعة الفندق حيث كانت تجري حفلة الكوكتيل التي اقامها كارلوس.

«كيف تمضين وقتك؟ هل تعملين كثيراً؟».

ابتسمت وهزت رأسها والتقت نظراتها بنظرات كارلوس. ولشدة دهشتها لم يكن غير مبال، لكنه كان قاسي اللمحات. ماذا يعني ذلك؟ في المرة الأخيرة لم يكن مكترثاً بلينوس ويحظه مع سارة. ولا لردة فعل الفتاة تجاه مقدمات وانجذاب القبرصي اليها. لكنه اليوم يبدي فضولاً غريباً.

ازاحت نظرها عن كارلوس لكنها ظلت تشعر به محدقاً فيها واجابت آلياً:

«ذهبت مع جيلبير الى بافوس».

«آه! جزيرة الحب. هل تأخذ هذه الجزيرة اهمية كبيرة في الكتاب؟».

«كلا، جيلبير لا يميز اي منطقة معينة بل يفضل ايقاظ اهتمام القارىء كي يشعر برغبة في ان يزور كل انحاء الجزيرة بنفسه».

احتج صارخاً:

«لكن فينوس تستحق فصلاً وحدها. هنا، نعلق اهتماماً كبيراً على الحب وانت، يا سارة؟».

ارتجفت رموش عينيها الطويلتين واجابت بحذر:

«لم يتسن لي الوقت ان افكر بذلك لانني اعيش حياة متكاملة».

ارجع رأسه الى الوراء وراح يقهقه ضاحكاً. فالتفت به عدد كبير من الأشخاص وراحوا يبتسمون. لينوس الوسيم يغازل الفتاة

الانكليزية وهذا موضوع شيق للمدعوين القبارصة، الذين كانوا يأملون ان يميل قلبه لاحدى بناتهم او شقيقاتهم.

صرخ لينوس قائلاً:

«ليس عندك وقت للحب! كيف باستطاعة فتاة بجمالك ان تقول هذا الكلام؟».

نظرت اليه نظرة فيها انذار واجابت:

«توصلت الى الاعتقاد انك رجل متملق».

ابتسمت لتعوض عن قساوة صوتها واضافت:

«ومديحك يبدو لي سطحياً».

«كلا!».

امسك بذراعها ونظر الى مكان منعزل. فرأى شجرتين نخيل ووراءهما كرسيين، فقال لها:

«تعالي معي. اريد ان ابرهن لك عن صدقي».

شعرت بنفسه يلامس وجهها، فرجعت الى الوراء محاولة التخلص من قبضته. فقطب حاجبيه وهمس في اذنها:

«ارغب في الزواج منك، يا سارة. منذ اللحظة الأولى اردتك ان تصبحي زوجتي. انا رجل غني ولن ارفض لك شيئاً...».

قاطعته قائلة:

«لينوس، لست انوي الزواج، لا معك ولا مع غيرك. واريد ايضاً ان افهمك انك لا تعرفني جيداً وهذا خطر عليك ان تتزوج من امرأة مختلفة عما تتصوره».

هز رأسه بثقة وقال:

«لا اتصور شيئاً واعرف من عينيك ان قلبك حنون وانك فتاة صادقة».

ابتسمت سارة وحولت نظرها برهة صوب كارلوس الذي كان

يدير لها ظهره ويثرثر مع موظف شاب في السفارة الاميركية.

«ما دمت تعرف اني صادقة، يجب عليك اذن ان تفهم لماذا ارفض الزواج منك. ليس لك قيمة عندي واضافة الى ذلك، انا لا احبك...».

«بامكانك ان تتعلمي كيف تصلين الى حبي. سأكون استاذك. في الشرق، الحب فن واعتقد ان المواهب لا تنقصني، حتى ولو لم اعد اهتم بالنساء منذ عدة سنوات».

ابتسمت سارة مجدداً. قررت ان تعامله بلهجة المزاح، آملة الا تجرح شعوره وتؤلمه. عليها ان تفكر بسمعة مديرها والا تتشاجر مع اي عضو من البيئة التي يعاشرها جيلبير.

اجابت ضاحكة:

«لا شك انه لا تنقصك المواهب في ما يخص فن الحب... لكن تنقصك عزة النفس».

رفع كتفيه وضحك بدوره وقال:

«ليس القبارصة برجال متواضعين، خاصة عندما يتكلمون عن انتصاراتهم الغرامية».

ارتجفت رموش عيني سارة وبحثت بنظرها عن كارلوس ورأت بارتياح جيلبير يتقدم نحوهما:

«هل بامكاني الانضمام اليكما؟».

فهمت من نظرته الى لينوس انه جاء لينقذها. واضاف يقول:

«آمل الا اكون قد قطعت عليكما الحديث... السري؟».

زم القبرصي شفتيه وهز رأسه مبتسماً. جلس الثلاثة، وراح جيلبير يحدث لينوس بينما استرخت سارة في مقعدها ونظرت بشرود حولها فرأت الأضواء، والكؤوس والاقداح والجدران المزينة بالاشياء الفاخرة والسجاد الأحمر والزهور... انه اجتماع حيوي. بعض

المجموعات الصغيرة ظلت واقفة. وبعض الاشخاص جلسوا على الطاولات الصغيرة بعضهم يضحك ويمزح والبعض الآخر يتكلم بجدية عن مواضيع هامة.

تلألأت عينا سارة عندما التفت كارلوس الى الوراء ولاحظها شاردة لا تعير انتباهاً للحديث الجاري بين لينوس وجيلبير. فتوجه نحوها ونظر اليها لحظة قبل ان يقرب كرسياً ويجلس بجانبها. ولمحت في نظرته تعبيراً حزيناً. فكلما واجه مشكلة جديدة يبدو متوتراً ومضطرباً. ابتسم ولاحظت انه يرغب في طرد القلق من عقله.

قال بصوت خفيض:

«اعتقد ان لينوس يهتم بك اكثر من قبل».

اجابت بلطف:

«لقد طلب يدي».

«... و... ماذا كان ردك؟».

نظرت الى وجهه وشاهدت الغصة في حلقه. يا له من رجل غريب. لو كان بامكانها ان تقترب اكثر منه. فما يزال لغزاً بالنسبة اليها.

اجابت بسخرية:

«لقد رفضت».

تهيأ لها انها سمعت كارلوس يطلق زفرة ارتياح، ام ان مخيلتها قد خانتها.

«كنت متأكداً انه سيطلب يدك».

زمت عينا كارلوس عندما نظر الى لينوس المنسجم بالحديث مع جيلبير:

«قلت لك انه سيطلب يدك بأقرب وقت ممكن».

«صحيح واجبتك ان عملي يكفيني».

«وقلت لك ان من الطبيعي على المرأة ان تشعر برغبة في ان تصبح اماً».

«لا تتزوج المرأة من اجل انجاب الأولاد».

اجاب بلهجة مرة:

«صحيح؟ لكن احياناً يكون الانجاب سبباً للزواج».

كان بعيداً عنها الآن ولم تكن قادرة... او لم تجرؤ على الاقتراب منه. كانت تسمع اصوات جيلبير وليتوس والحضور، لكنها لم تكن تصغي الى احد، لأن سؤالاً يهدد ذهنها... هل تزوجت اليسون من كارلوس بهدف انجاب الاطفال، فقط لا غير؟ نظر كارلوس اليها ليتأكد من صدقها وسألها:

«وانت، هل تضعين الحب في البداية؟».

«بالنسبة الي، الحب متعلق بالرغبة».

ردد كارلوس بغرابة:

«الرغبة؟».

«هل انصدمت. اعتقد ان الحب والرغبة مرتبطان جداً الى درجة انهما اصبحا غير منفصلين».

توقفت ثم اضافت:

«الرجل الذي ساحبه يكون ذلك الذي ارغبه...».

نظرت اليه سارة بعينيها الجميلتين المتوسلتين، وقلبها يأمل ان يفهم ماذا تعني كلماتها. ثم اضافت:

«ساحبه، ان كنت بحاجة اليه. وعندما اكون بحاجة اليه، ذلك يعني اني ارغبه».

ران صمت طويل ثم قال كارلوس بصوت متقطع:

«اذن الرجل الذي ستتزوجين منه سيشعر دائماً... انك ترغبينه...».

كان كأنه يكلم نفسه، غير انه ظل يحدق بها، ثم اطلق زفرة طويلة حزينة... فاندهشت سارة وظلت تحدق به. تنفس عميقاً وازاح نظره عنها كأنه يرفض قبول ما يراه. اخيراً قال بصوت اجش:

«آه! سارة. لماذا؟...».

قاطعه جيلبير ليسأله سؤالاً لا قيمة له حول الحرفيين في الجزيرة.

«اخبرني ليتوس عنهم وخطر ببالي ان اخصص لهم فصلاً في كتابي».

في ثقة واتزان، اجاب كارلوس عن سؤال الكاتب. وبعد قليل بدأ الحديث يتشعب وانضم اليهم بعض المدعوين.

وفي آخر السهرة وجدت سارة نفسها وحدها مع كارلوس فتبعا جيلبير حيث اوقف سيارته. لكن جيلبير اعتذر وذهب يقول كوني كلمة اخيرة.

فبدأت سارة الكلام قائلة:

«ماذا كنت تريد ان تقول لي عندما قاطعك جيلبير؟».

كان شارد الذهن ومستنداً الى السيارة ويده في جيب سترته. بدا يفكر ثم اجابها مبتسماً:

«لا شيء له اهمية».

فتح لها باب السيارة كي تصعد في المقعد الخلفي. وبدوره جلس امام المقود. ثم ادار وجهه لينظر اليها وقال:

«سارة الشيء الذي كنت انوي قوله لا اهمية له».

لم تقل شيئاً، لكنها شعرت بارهاق وحزن كبيرين نظرت الى ملامح وجهه القاسية والى فمه الحازم وذقنه البارز. كان بعيداً عنها بافكاره واقترب جيلبير من السيارة وصعد قرب كارلوس معتذراً لتأخره.

«لا سبب للاعتذار. هل تحدثنا بموضوع الكتاب».

«نعم. كان كوني يحدثني عن مدينة فاماغوستا القديمة. وتذكرت انني نسيت ان اطرح عليه سؤالاً معيناً. يبدو انه على معرفة واسعة بتاريخ الجزيرة في القرون الوسطى».

ابتعدت السيارة عن الفندق واخذت طريقاً تحيط بالجبال، ثم هبطت على الساحل قبل ان تصعد من جديد نحو لابيتوس. كان القمر بدراً يضيء المناظر والقرى، والبحر كان غامقاً وسرياً. على اليمين تمتد جبال كيرينيا الى ما لا نهاية. الاضواء تلمع هنا وهناك. وقبب الكنائس البيضاء تبرز بوضوح تحت السماء الليلكية المليئة بالنجوم.

عندما وصلوا الى الفيللا توجه جيلبير الى الباب. ساعد كارلوس سارة على النزول وظل ممسكاً بيدها. ثم همس بصوت حنون:

«تصبحين على خير».

حدق في عينيها المتوسلتين الشفافتين الصافيتين، فاندهشت من تصرفه واضطربت كثيراً. وتبين لها انه كان يرغب في ان يفشي لها بسر مهم، لكنه قرر ان يصمت في النهاية. لم يقبل ان يكلمها الآن، لكنه اكتفى بالقول انه سيكون حراً نهار السبت وان بامكانه تمضية النهار برفقتها. وذهبت لتسأل جيلبير اذا كان سيحتاج لها في هذا النهار. لكن الكاتب كان قد سمع كلام كارلوس، وفي الحال سمح لها ان تأخذ نهار عطلة.

هتف جيلبير لكارلوس قائلاً:

«عندي اهم سكرتيرة في العالم. لو اسمع منها لوافقت على العمل سبعة ايام في الاسبوع».

قطب كارلوس حاجبيه. لا شك انه يفكر بأن سارة ليست بحاجة لأن تعمل ما دامت قد حصلت على ارث محترم.

اجاب كارلوس قبل ان يصعد الى السيارة من جديد..

«سارة هي حقاً كنز ثمين».

ثم اضاف قائلاً:

«سآتي في الساعة التاسعة، يوم السبت، يا سارة. كوني جاهزة».

تدخل جيلبير في الحديث قائلاً:

«سارة تنهض من نومها في السلامة صباح كل يوم».

«مثلي انا. من المستحيل ان ابقى في السرير والشمس مشرقة».

«وانا كذلك. استيقظ في مثل هذه الساعة، اذا لم يكن في ساعة مبكرة ايضاً».

«تصبح على خير يا جيلبير. تصبحين على خير يا سارة».

ثم اقلع بسيارته وظلت سارة في الخارج تنظر الى اضواء السيارة حتى اختفت. وتوجهت الى المنزل حيث كان جيلبير ينتظرها على عتبة الباب محدقاً فيها بفضول.

٧ - العرس القروي

وصل كارلوس في الساعة التاسعة تماماً. كانت سارة وجيلبير قد تناولا فطور الصباح قبل ساعة، جالسين على الشرفة المشمسة، يتحدثان عن فاماغوستا وسلامين حيث سيذهبان بعد حوالى اسبوعين. توقف جيلبير عن الكلام ليلاحظ ردة فعل سكرتيرته عندما سمعت عجلات سيارة على الطريق المليئة بالحصى والحجارة. ولاحظ ان عينيها لمعتا وشفتيها ارتجفتا بطريقة خفية.

نهض جيلبير واستقبل كارلوس بحماس. وقالت سارة بصوت هادىء:

«صباح الخير، يا كارلوس».

رفعت رأسها لترى الوجه الجميل المطل عليها. رمقها كارلوس

بنظرة اعجاب، وراح يتأمل فستانها القطني المعرق البسيط ويدها التي تعبث بنظارتين سميكتين.

سأل جيلبير وهو يقرب كرسياً ليجلس كارلوس عليه:

«اين تنويان الذهاب؟».

جلس كارلوس واجاب مبتسماً:

«على سارة ان تقرر».

«كلا انت الذي يقرر يا كارلوس. انا لا اعرف الجزيرة معرفة كافية بعد».

«بامكاننا الذهاب الى سلامين».

«سنذهب، انا وجيلبير الى هناك عما قريب... عندما ننهي ما نفعله في الوقت الحاضر».

«في هذه الحال، يجب البحث عن مكان آخر».

تدخل جيلبير في الحديث وقال:

«لا بأس بسلامين. لا شك ان كارلوس يعرف الكثير عن البلد ولا يهم ان زرتها مرتين. فالأمر شديد الافادة».

«حسناً. سأفرح بالذهاب الى هناك، بعد ان سمعت الكثيرين يتحدثون عنها».

قررا القيام بزيارة المدينة القديمة التي كانت احدى اهم المدن في قبرص. وخلال الطريق اخبرها كارلوس عن تاريخ سلامين وكانت هي تصغي اليه باهتمام وشغف. اخبرها ان الاسم آت من جزيرة سلامين اليونانية. ملك الجزيرة هو الذي بنى المدينة الواقعة في الشاطىء الشرقي، على بعد بضعة كيلومترات من فاماغوستا.

قالت ساره بعدما انهى رفيقها الحديث:

«التاريخ مثير دائماً».

كانا يتأملان القمح الخصب وسهل ميسايورا الذي كانا يجتازانه.

تابع كارلوس يقول:

«تاريخ هذه الجزر رائع للغاية. وقبرص، مثل معظم الجزر اليونانية، عرفت اجتياحات واحتلالات عديدة. لكن اليونان هم الذين كان لهم التأثير الكبير عليها. منحوا الجزيرة كل القصص الخرافية وكل الأساطير. فاليونانيون هم الذين اكتشفوا ان افروديت ولدت في قبرص».

«ملكنا ريتشارد قلب الأسد حكم هنا خلال مدة قصيرة، أليس كذلك؟».

هز كارلوس رأسه وشرح لها ان خليفة ريشارد هو الذي اسس هذه القصور الصليبية المبنية على قمم الجبال.

«كنت سأقترح عليك ان تزوري واحداً او اثنين من هذه القصور، لكن سترينها في كل حال مع جيليس».

«نعم، ننوي زيارة كل الأماكن السياحية».

كانت ترغب في ان تزور هذه الأماكن برفقة كارلوس ايضاً، لكنها لم تقل حرفاً. ثم ذكرته بأنه وعدها بأن يأخذها لزيارة اصدقائه في بيلابي.

«لم انس، يا سارة. لكنهم في اليونان في الوقت الحاضر ولن يعودوا الا بعد اسبوعين».

ثم فتحت سارة الحديث حول ابنته ريان. فسألته عنها وكيف تمضي عموماً عطلة الصيف الطويلة. فأجابها انه يصطحبها الى شاطىء البحر وانهم يسافرون احياناً الى لبنان واليونان. فتخيلت سارة بحزن هذا الأب الذي يقوم بجهد ليسلي ابنته الوحيدة اليتيمة.

«اليس عندها صديقات او اصدقاء من عمرها؟».

«هناك عدد قليل يسكنون قرب منزلنا».

فوجئت بسكوت كارلوس المفاجىء كأنه يشعر بصعوبة اكمال

الحديث. اخيراً قال:

«ويوجد صبي صغير في المنزل الذي تعيش فيه في الوقت الحاضر... وتتفق معه كلياً».

ولما وصلا الى سلامين، اوقف السيارة الى جانب الطريق ثم راحا يأكلان السندويشات والفاكهة التي اشترياها بطريقهما.

قالت سارة وهي تسند ظهرها على المقعد:

«هذا الطعام شهي ولذيذ».

جمع كارلوس الفناجين والصحون المصنوعة من الورق ورماها في برميل القمامة. بينما كانت سارة تنظر الى امرأة ورجل خرجا من سيارة اصطفت قرب سيارة كارلوس. امسك الرجل يد المرأة وتوجها معاً نحو المنظر الجميل. فوجئت انها تحسدهما، هي التي كانت تعتقد دائماً ان عملها يكفيها. وعاد كارلوس وتلالأت عينا سارة. اقترب منها بخطى واسعة. هل يعرف ان هيئته رفيعة ومهيبة؟ ظل مدة طويلة واقفاً امامها ينظر اليها. ولدهشتها، امسك يدها بحركة امتلاكية جعلتها ترتعش. ثم امسك بذراعها وحذا حذو الزوجين الشابين اللذين كانا يمشيان امامهما.

كان يوماً مثالياً للغزل. تمشيا بين آثار مدينة سلامين، المدينة التي كانت في قديم الزمان مزدهرة، وقد بناها احد ابطال حرب طروادة. لكن للأسف دمرتها الهزة الأرضية. اما الأعمدة الرخامية والحمامات وبقية الآثار فتعود الى عهد الرومان.

قال كارلوس بعد صمت طويل:

«هذا هو الملعب، ربما ادركت ذلك».

«لا، لكنه جميل جداً. كيف كانت المدينة في الماضي؟».

«من الصعب تصورها. لا شك ان هذه المدينة كانت مليئة بالمنازل الفاخرة والمخازن والدكاكين والمسارح والهياكل والمعابد. اما الديكور

الأساسي فهو المرفأ والبحر».

«وانه لشيء محزن. . .».

ثم اضافت بلهجة احتقار للذات:

«وانا عاطفية من دون معنى. ما حدث في الماضي قد مضى، كما يقول جيلبير ولا يمكننا ان نعيش الحياة من جديد».

ردد في لهجة حالمة:

«ما حدث في الماضي قد مضى».

كان شارداً في ذكرياته. فقالت بصوت متوسل:

«كارلوس، ارجوك، لا تفكر مطولاً في الماضي. طفولتي لم تكن اسعد من طفولتك، مهما فكرت بالأمر. كنت افضل محبة وعاطفة . . . اخي . . . بدلاً من الجاه والمال! كنت بحاجة اليك، يا كارلوس، لكنك لم تكن تلاحظ ذلك».

كانا واقفين قرب بعضهما على مدخل الملعب. امامهما تبرز اعمدة الرخام العالية وتاجها الكورنثي. فردت آملة ان يصدقها:

«كنت بحاجة اليك».

التفت نحوها بهدوء وبطء وسألها بصوت مبحوح من شدة الانفعال:

«وهل كنت حقاً بحاجة الى اخ؟».

اخفضت عينيها وقالت هامسة:

«نعم يا كارلوس. في الأيام الماضية كنت اريد ان اكون قريبة منك، كما تكون الأخت قريبة من اخيها. ولما كبرت بالسن، حاولت ان افهمك الى اي درجة وضعنا هذا كان يؤلمني. . .».

قال بلهجة قاسية فجأة:

«يؤلمك؟ كنت تشفقين عليّ؟».

«كارلوس، لا تسيء ظني. عندما اقول لك اني كنت بحاجة

اليك، اتكلم بصدق واخلاص».

ابتسم من طرف شفتيه. فما زال يشعر باضطراب حيال امر ما يحيره. لو بامكانه فقط ان يفشي لها بسره الذي يعذبه!

«آسف، يا عزيزتي. . .».

توقف عن الكلام عندما تقدمت مجموعة من الاميركيين وقفت قربهم لتتأمل المنظر لكنها سرعان ما ابتعدت وراء الدليل وآلات التصوير.

تابع كارلوس يقول:

«لا شك انك تعتبرينني شديد الحساسية، اليس كذلك؟».

«افهم ما تشعر به».

وضعت يدها بذراعه في خجل وقالت:

«لندع الماضي جانباً. طفولتنا لم يعد لها اهمية اليوم. وما يهم هو الحاضر والمستقبل».

سيتوصل يوماً الى ادراك ما يدور في اعماق قلبها وعقلها وكيانها. وافق على انها بحاجة اليه ربما يبدأ بالنظر اليها بمنظار جديد.

اخيراً قال:

«انت على حق».

ومن دون انتظار او توقع، امسك يدها وضغط عليها بحنان. بدا اقل قلقاً كأنه اتخذ لنفسه قراراً مفاجئاً هدأ من روعة قلقه. ارتبكت سارة واصابتها الحيرة. لكن، يده بيدها ونظرته الناعمة الحنونة جعلتها تنسى كل الباقي واستسلمت للسعادة المنغمسة فيها. تلألأت عيناها وارتجفت شفتاها وعرفت ان تصرفها سيؤثر بكارلوس. . . وتأكدت انه بدأ يعرف ما هي حقيقة عواطفها تجاهه.

ظل ممسكاً بيدها طوال الوقت بينما كانا يتمشيان بين الآثار.

ثم سألها بحنان وتسامح:

«هل اعجبك المكان؟».

«كثيراً. لا اتذكر اني كنت سعيدة في حياتي اكثر مما انا عليه الآن».

«انا كذلك».

وتذكرت سارة ما قاله لها جيلبير، ان هناك شيئاً مهماً لم يعرفه كارلوس في زواجه.

طريق العودة كانت هادئة. الاثنان منغمسان في افكارهما الخاصة. لكن سارة كانت ترمقه من وقت الى آخر بنظرة جانبية محاولة ان تميز تعبير وجهه. وبماذا يفكر، يا ترى؟

عندما جاءت سارة لتزور كارلوس في المرة الثانية وجدت ريان معه فاستقبلتها الفتاة بدهشة وابتسمت لها في حنان كبير.

«عمتي سارة، انا سعيدة لرؤيتك، قال لي ابي اننا سنذهب معاً الى البحر!».

«صحيح؟».

امسكت الفتاة الصغيرة يد عمتها فشعرت سارة بدفء في قلبها. توجها معاً الى الشرفة حيث كان كارلوس جالساً يتفقد اوراقه وبدأ يجمعها فابتسمت له سارة ورأت حينئذ تجعيدة حزينة وقاسية على فمه. غير انه رد عليها بابتسامة لطيفة ورأى يد ابنته تضغط بقوة على يد سارة.

«قالت لي ريان اننا سنذهب جميعنا الى البحر».

«اذا كنت توافقين على ذلك. فكرت بأن ذلك يفرح الصغيرة لأنها تحب السباحة كثيراً ومضى عليها اسبوع بكامله من دون ان تمارسها. بامكاننا ان نبقى هنا ونسبح في بركة السباحة، لكن اقترح ان نذهب الى البحر ما دام الطقس جميلاً».

«هذا يسرني ايضاً. لكنني لم اجلب بزة السباحة. لذا يجب ان امر

بالفيللا».

لم يكن على الشاطىء الا القليل من الناس. لكن مع مرور الوقت بدأ السياح يتوافدون حاملين الشماسي الملونة. اعتمرت ريان قبعة السباحة كي لا تتلف شعرها، بينما سارة سبحت عارية الرأس. ولما جلس الجميع على الرمال، لمست الفتاة شعر سارة المبلل بخجل وسألتها:

«هل تجدين متعة عندما تسبحين عارية الرأس؟».

«انها متعة رائعة. يا ريان».

نظرت سارة بسرعة الى كارلوس الذي كان ممدداً ومكتف اليدين وراء رأسه. فسألته:

«هل بامكان ريان ان تسبح من دون ان تضع قبعة السباحة؟».

«لكنها ستفسد بذلك شعرها».

«سأساعدها على غسله عندما نعود الى المنزل».

قطب حاجبيه وقال:

«حسناً، ما دمتما متآمرتين عليّ».

شعرت سارة بأنها نجحت في تحقيق الخطوة الأولى نحو النصر. وهذا ما تم بالفعل. بسرعة غريبة اصبحت ريان الفتاة الصغيرة التي يجب ان تكون. تضحك في اغلب الاحيان، وتجلس بارتياح على الكرسي من دون ان تخاف على فستانها. تضيع شرائط شعرها وتلعب بالغميضة وراء الاشجار وترتطم بالحجارة وتجرح قدميها او يديها. وفي آخر النهار، يصبح فستانها ووجهها بلون واحد، لكن مزاجها يشرق فرحاً. في باديء الأمر لم تعجب مربيتها بالأمر، لكن سارة ربحت المعركة بمرونتها ولطفها.

وبدا الجميع اكثر فرحاً وحرية حتى كارلوس نفسه فقد ظهر الاسترخاء عليه. كان يقيم حفلات العشاء ويدعو اليها سارة وجيلبير

وغيرهما من الاصدقاء. كما كان يزور جيلبير ليعطيه بعض المعلومات عن العادات والتقاليد الشائعة في الجزيرة وعن الاعياد والحياة الزراعية التي يعيشها القبارصة. كما حضروا معاً عدة اعراس قروية. ودعوا مرة الى قضاء ثلاثة ايام في احدى القرى ليحضروا عرساً قروياً.

في اليوم الأول كان الجميع منهمكين في تحضير حفل العرس بذبح الدجاج والأغنام وتحضير الفطائر والخضر والسلطات لما يقارب الف مدعو.

هتفت سارة:

«انظروا الى هذا الخروف المسكين!».

هرب خروف من يد الجزار وراح يركض في الساحة بهلع فلحق به رجل حاملاً سكيناً كبيرة.

«يا لهذا المنظر المقيت!».

ازاحت نظرها كي لا ترى شيئاً، لكن الآخرين كانوا يفرحون برؤية هذا المنظر ولما توصل الجزار الى القبض على الخروف قتله في الحال. اما الرجل المختص بقتل الدجاج فكان يعلقها على عصا طويلة. وكلما نزل فروج يقطع له رأسه وهكذا بالتالي.

صرخت ريان مستغربة:

«اني انظر الى هذا الماعز الصغير اليس جميلاً بفروه الأبيض».

«نعم».

لكنه كان ينظر الى سارة الحزينة. فهي لا تعرف ان عليهم ان يقتلوا هذه الماشية من اجل اطعام المدعوين.

الجميع يعملون ويغنون. المضيفات يعلقن الشرائط والزينة على سرير العرس ويضحكن. وفي اليوم التالي كان الجويشيه كرنفالاً يعم القرية كلها. الجميع يرقصون على موسيقى البوزوكي ويضحكون

ويثرثرون بطيبة. في الصباح جاء قس ذو لحية كثيفة ليحلق ذقن العريس. واصدقاء العريس المقربون حضروا هذا المشهد. وخلال هذا الوقت راحت مضيفات الشرف يزين العروس باحلى زينة. والد العروس احضر الى المنزل الفراش الخاص بالزوجين، بعد ان حمله على كتفه وكان من جهاز العروس مع الفضيات ومئات الهدايا، كلها معروضة للمدعوين داخل المنزل.

الموكب توجه اخيراً الى الكنيسة البيضاء المنتصبة في آخر الشارع الرئيسي. كانت العروس تحمل باقة زهر ومضيفات الشرف يحملن بايديهن الشموع الكبيرة المضاءة والمزينة بالشرائط العريضة.

جيلبير وسارة يدونان المعلومات بصورة مستمرة. فالكاتب وجد هذا الحفل مسلياً فالناس يضحكون ويثرثرون ومعظمهم لا يصغون الى اي كلمة. الأهل والمدعوون لا ينزعجون من مقاطعة القس طالبين ان يسمح لهم بأخذ الصور. يتوقف القس لحظة، يرمقهم بابتسامة عطوف ويعطيهم الضوء الأخضر. وفي آخر الحفل، يوقع كل من المدعوين اسماءهم على الشريط الطويل ليحفظه العروسان مدى الحياة.

والوليمة تستمر ساعات متواصلة مع الرقص والغناء. والعروسان يوزعان الحلوى على كل المدعوين ثم يرقصان. وخلال الرقصة يأتي كل واحد ليشكل ورقة نقدية على ملابسهما. وفي اخر الرقصة، تكون بزاتهم مغلفة بالاوراق النقدية.

قال جيلبير:

«اني اراهن بأن العروسين ربحا اكثر من الف ليرة. الذي جاء بهذه الفكرة، لا شك انه رجل ذكي للغاية».

قالت ريان:

«انا، لا احب ان يشكل المدعوون الاوراق النقدية على فستاني

الأبيض الجميل. وانت، يا عمتي سارة؟».
«وانا كذلك، يا ريان».
ابتسمت الفتاة الصغيرة وضغطت بقوة على يد عمتها. فامتلأ قلب سارة بالحنان وعرفان الجميل.
«الدبابيس تفسده، اليس كذلك؟».
«نعم، طبعاً».
«العروس تحب المحافظة على ثوب عرسها الى الابد، اليس كذلك؟».
«طبعاً».
قامت سارة بجهد كبير كي تنظر الى كارلوس. تود من كل قلبها ان ترى تعبير وجهه، لكنها لا تريد ان تفضح نفسها.
ظلت ريان تتابع الحديث معها من دون اي تعب. واخيراً هدأت. وفي الليلتين الفائتتين نامت مع سارة في منزل صغير يملكه اهل العروس. لكن حان وقت العودة.
ولما وصل الجميع الى منزل كارلوس، قال هذا الأخير:
«لماذا لا تدخلان لحظة. ربما تريدان تناول العشاء...».
صرخ جيلبير قائلاً:
«يا الهي! لا! انا لن اتعشى الليلة».
ثم نظر الى سارة وقال:
«لكن، ربما انت، يا سارة، جائعة».
هزت رأسها وقالت:
«اكلت لمدة اسبوع على الأقل».
«في هذه الحال سنتناول شيئاً اخر في آخر السهرة».
سألت ريان وهي تنظر الى والدها:
«وهل بامكان عمتي سارة ان تضعني في السرير هذا المساء؟

فسأفرح لأنها تقرأ لي القصص الجميلة».
«واذا كان ذلك لا يزعج سارة؟».
«ابداً بالعكس هذا يفرحني».
ابتسمت بحنان للفتاة وقالت:
«تعالي، يا ملاكي. ستأخذين حماماً ثم سأقرأ لك قصة عندما تذهبين الى الفراش».

٨ - اعترافان ومفاجأة

امضى جيلبير وسارة عشرة ايام في فاماغوستا. راحا يتنقلان في ارجاء المنطقة باحثين عن عناصر مهمة للكتاب.

قال جيلبير يوم كانا جالسين يحتسيان الليموناضة في ساحة المدينة القديمة:

«هناك امور كثيرة يجب كتابتها. لكننا سنضطر الى حذف بعض المقاطع كي لا يصبح الكتاب طويلاً جداً...».

تقدم منهما صاحب المقهى ليسألهما اذ كانا يريدان مزيداً من الشراب. ثم اضاف:

«سيكون ذلك على حسابي».

قال جيلبير:

«طبعاً لا. لكني سأشرب كأساً اخرى وانت، يا سارة؟».

هزت رأسها ايجاباً. ورفض الرجل اخذ ثمن الشراب. فتعجب الكاتب وسكرتيرته ونظرا الى بعضهما مندهشين. القبارصة اليونانيون والاتراك، اشخاص مضيافون.

وقال جيلبير وهما يغادران المقهى:

«شكراً جزيلاً».

«هل ستعودان الى فاماغوستا؟».

«اذا اضطررنا لذلك».

تساءلت سارة اذا كان جيلبير سينفذ نصائح كارلوس ويقرر قضاء ايام تقاعده في قبرص. فهي لا تصدق بأنه سيتقاعد يوماً، لكن بامكانه ان يغادر انكلترا ويستقر نهائياً في الجزيرة.

توجه جيلبير وسارة الى الكاتدرائية الكبيرة التي بنيت على طراز الهندسة القوطية في عهد الملك لوزينيان. وذكر جيلبير سكرتيرته بأن الملوك القبارصة كانوا يتوجون اولاً في العاصمة نيقوسيا، ثم يمشون في تظاهرة كبيرة تبدأ من العاصمة حتى المدينة حيث يتم تتويجهم هناك لكن تحولت الكاتدرائية الى جامع عندما انتصر الاتراك على ابناء البندقية. وبقيت جامعاً لأن في فاماغوستا يعيش القبارصة الاتراك فقط. ومن الجهة الثانية للساحة قصر بندقي رائع لم يبق منه الا واجهته وقبب ثلاث تتمركز على عواميد من القرميد، اخذت من هيكل سلامين.

قالت سارة التي كانت تدون ما يمليه عليها جيلبير:

«انها مدينة محض شرقية. المئذنة الاسلامية وبائعو البقول في الشوارع...».

اشتغلا بقية النهار من دون توقف، وفي المساء كانا متعبين لكنهما مسروران من نهارهما. فتوجها الى المقهى لتناول طعام العشاء.

وفي اليوم التالي، آخر يوم في فاماغوستا، قاما بزيارة الكنائس برفقة مدير الآثار التاريخية اللذي عرض خدماته عليهما واخذهما حيثما ارادا. اخيراً توجها الى برج اوتيللو واخذا صوراً عديدة لجدرانه القوية العارمة.

قال جيلبير عندما خرجا من المدينة.

وآمل ان اكون قد اخذت كل ما هناك من معلومات حول المدينة».

حياهما ضابط تركي مبتسماً، فأطلقت سارة زفرة امتنان وقالت:

«الحياة هادئة وممتعة على هذه الجزيرة. سأحزن عندما يحين الوقت للرحيل».

لم يرد جيلبير على تعليقاتها، لكنها شعرت انه يفكر. بما قالته فأضافت تقول:

«هل تفهم ما اقصده؟».

«تقصدين ما يجذبك الى هذه الجزيرة؟ اعتقد ان ضيافة السكان وصدقهم وحرارتهم، هي اول ما يجذبك هنا. لكن هناك الجزيرة التي انعم عليها الخالق بالطبيعة والطقس الجيد والمزروعات الفريدة والشواطىء الرائعة والاماكن الاثرية الفاتنة. هناك البحر. والجبل. اعتقد ان جبال ترودوس ساحرة!».

«هذا ما سمعته ايضاً».

ثم سكتت وراحت تفكر بكارلوس وبتصرفه الغريب. لا شك ان مشكلة عويصة تشغل باله. بدا في مرحلة ما انه حل هذه المشكلة، لكنه يبدو الآن من جديد مضطرباً للغاية. تنفست سارة الصعداء وتساءلت ما اذا كانت امانيها كلها ستضمحل، قاطع جيلبير فجأة حبل افكارها وراح يحدثها عن عمله. ولما وصلا الى الفيللا، وجدا عدداً لا يستهان به من الدعوات.

قال جيلبير عندما جلسا على الشرفة بانتظار العشاء:

«امامنا سهرات ممتعة».

بدأت تقول:

«بامكاننا ان نرفض بعضاً منها».

هز رأسه وقال:

«لن يكون الأمر سهلاً ان نقبل بعضها ونرفض البعض الآخر. يجب الاستسلام لقضاء حياة عصرية، يا عزيزتي. وربما حان لنا الوقت لندعو الجميع الى حفلة في الفيللا فما رأيك؟».

هزت رأسها وتناولت رسالة وجهت اليها خصيصاً. فتحتها. انها من كولن. ابتسمت وقالت:

«آه! هذا لطف منه!».

رفع جيلبير حاجبه متسائلاً وشرحت له سارة ان ابن اخيه سيصل الى هنا في الاسبوع المقبل ليمضي عطلة اسبوعين في قبرص.

«ويأمل الا تكون في منطقة اخرى لدى وصوله. واكد لنا ان بامكانه تغيير وقت اقامته اذا كانت الظروف تتطلب ذلك».

هز جيلبير رأسه ورمق سكرتيرته بنظرة غريبة وقال:

«انت وكولن كنتما دائماً صديقين عزيزين أليس كذلك؟».

«نعم. منذ اليوم الذي عرفتني عليه هناك امور عديدة مشتركة بيننا».

كانت سعيدة لرؤيته من جديد، لتعرفه على كارلوس وريان فكولن يحب الأولاد. وتساءلت سارة مراراً لماذا لم يتزوج حتى الآن. لو سألته لرد عليها بفعل المزاح والمناكدة: «ان اتزوج، انا؟ لكنني انتظر ان تقرري الزواج مني».

ردد جيلبير حالماً:

«امور عديدة مشتركة بينكما. امور عديدة... ولا شيء اكثر».

ابتسمت وقالت:

«لكن هذا لا يكفي كي نخوض معركة الزواج».

«آه، لو تعرفين كم كنت اتمنى هذا. . .».

قطب حاجبيه واضاف:

«ولكني، لست متأكداً من ذلك. غير انني احب رؤية كولن متزوجاً واباً. العزوبية لا تليق به».

رمق سكرتيرته بنظرة غريبة مرة اخرى وقال:

«كارلوس. . . انت. . .؟».

توقف فجأة وللمرة الأولى منذ ان تعرفت اليه، تشعر سارة ان الكاتب شعر بانزعاج لأنه تطرق الى هذا الموضوع.

ترددت لحظة قبل ان تبوح له بصوت منخفض.

«احبه، يا جيلبير».

تناول جيلبير كأسه وترك نظره يحدق بتلة الرسائل امامه. وبحركة شاردة رماها جانباً وقال اخيراً:

«وهو؟ كيف يتصرف معك؟».

لم يسألها ماذا يشعر كارلوس تجاهها، كأنه عرف ان كارلوس لم يعبر لها بعد عن حقيقة عواطفه تجاهها. فتجاهلت السؤال وقالت:

«هل فوجئت باعترافي؟».

«كلا. كنت اشك بذلك منذ وقت بعيد».

عضت على شفتيها وقالت:

«وسأشعر بالحمق اذا عرفت ان كارلوس لا يحبني. لم اكن متأكدة تماماً ان عاطفتي كانت بديهية وجلية».

«انها هكذا تماماً، بالنسبة الي فقط، ذلك لأنني اعرفك جيداً».

كانت ملامح وجه جيلبير ناعمة وقلقة في آن واحد فقال:

«آمل بكل صدق ان يكون كارلوس يحبك هو ايضاً».

اخفض عينيه نحو كأسه ثم ظل صامتاً منغمساً في حبل افكاره.

اخيراً اتخذ قراراً وقال لها ان كارلوس رجل غريب ولا يمكن لأحد ان يتوقع منه شيئاً. كان واضحاً انه مهتم بها لكن من المستحيل معرفة اعماق شعوره نحوها ما دامت لم تبح له بعد بعاطفتها وصدق مشاعرها.

اخيراً سألها جيلبير:

«هل انت متأكدة من حبك لكارلوس؟».

«لقد وقعت في غرامه منذ كنت في السادسة عشرة من عمري».

«في السادسة عشرة؟».

نظر اليها بدهشة وقال:

«لم تخبريني بالأمر ابداً. ولماذا لم افطن لذلك؟».

تذكرت السهرة التي اقيمت بمناسبة الذكرى الذهبية لزواج جدي كولن عندما قررت ان تبوح لكولن بسرها. لقد اخبرته الكثير لكنها حافظت على هذا السر لها.

«لو قلت لك ذلك لكنت اعتبرته حب المراهقة العابر. أليس كذلك؟».

«ليس تماماً، يا سارة. انت فتاة جادة ولا انظر لعمق عواطفك بسطحية كما تعتقدين. اذن، كل شيء بدا واضحاً».

نظرت اليه نظرة تساؤل فقال:

«افهم الآن لماذا لا يهمك الرجال كثيراً. هل يعرف كولن ان لا حظ له معك؟».

«انا اكيدة بأنه يعرف. لكنه لا يعرف حقيقة عواطفي تجاه كارلوس».

«واتساءل لماذا لم افطن لشيء».

«رفضت ان اظهر لك حقيقة امري غير انني لم اكن اتألم ولم اكن

تعيسة».

«لكنك لم تعرفي السعادة ايضاً . . . كما يجب . . .».

«ما هي السعادة الكاملة؟ كيف يمكن تحديدها؟ كنت مكتفية منذ ان بدأت العمل لديك. واذا رفض كارلوس حبي له، اعتقد ان حياتي ستستمر كما كانت».

«كلا، يا ابنتي . . .».

توقف ونظر اليها بشفقة وقال:

«لا يمكنك ان تنسيه مدى الحياة. هذا مستحيل الآن. لقد لاحظت انكما قريبان لبعضكما. من جهته فهو يشعر على الأقل . . . بالعطف تجاهك. انت تحبينه. واذا كنت ستكونين تعيسة، سأندم كل حياتي على اتخاذ القرار بتأليف كتاب عن قبرص».

كانت احدى الدعوات آتية من لينوس. دعوة الى حفل عشاء في فيللته بأيوس بورغوس. ولهذه المناسبة اختارت سارة ثوباً اسود اللون بسيطاً، ذا قبة عالية واكمام واسعة. كما وضعت على صدره شكاً من اللؤلؤ تتناسق مع زوجي الأقراط المتدليين من اذنيها، احدى هدايا جيلبير بمناسبة عيد ميلادها.

نظر لينوس باعجاب الى سارة عندما وصلت مع جيلبير. اما كارلوس فقد اوقفه احد اصدقائه عندما كان يوقف سيارته امام المنزل.

همس لينوس بلهجة مرتجفة:

«يا عزيزتي، انت رائعة».

ابتسم جيلبير واجاب بدل سارة قائلاً:

«بالفعل، لقد قلت لها ذلك منذ لحظات».

امسك لينوس يد سارة وتوجها معاً الى الشرفة حيث كان بعض المدعوين يثرثرون ويشربون تحت ضوء القمر. قدم لينوس المشروب

الى مدعويه وجلس بين سارة وجيلبير. كانت الفتاة تبحث عن كارلوس بعينيها. اين سيجلس، يا ترى؟ سيضطر الى الجلوس بعيداً عنها لأن الكراسي الثلاثة الباقية التي تحيط بالطاولة يجلس عليها رجلان وامرأة. نظرت الى جيلبير وقالت:

«سيصل كارلوس في اي لحظة الآن. هل بامكاننا ان نقرب الكراسي قليلاً لنتمكن من وضع كرسي آخر له قربنا؟».

فهم جيلبير واقترب في الحال كي يصير بامكان كارلوس ان يجلس قرب سارة. وعندما وصل رفعت عينيها نحوه مبتسمة واشارت له بالكرسي الفارغ:

«تعال واجلس بقربي، يا كارلوس».

وبعد فترة غير طويلة جلست سارة وكارلوس على الشرفة واستندا الى الدرابزين، يثرثران ويتأملان الشاطئ الفارغ والأمواج الخفيفة والنادرة التي تتكسر على الشاطئ. الى اليمين، الصخور تلمع تحت ضوء القمر. ورائحة الجو تعبق بالأزهار العطرة.

همست سارة وهي تلتفت بكارلوس:

«انه منظر ساحر. حتى هذه الجزيرة لا يوصف!».

ران صمت متوتر ثم قال كارلوس بصوت مبحوح:

«تفكرين الآن بالوقت الذي ستغادرين فيه الجزيرة . . .».

هزت رأسها متحاشية نظره الثاقب:

«مضى على وجودنا هنا شهران فقط».

تبع ذلك صمت عميق. وهي غير قادرة على تحمل التوتر الضاغط فاقترحت سارة عليه ان يلتحقا ببقية المدعوين.

قبل لكنه لم يتحرك. فاضطرت ان تقف امامه.

«سارة . . .».

وبحركة سريعة امسكها كارلوس بطرف فستانها وابعدها بسرعة

عن الدرابزين وقال:

«يا الهي. . . بماذا كان لينوس يفكر اذن! هذا خطر كبير!».

كانت سارة شاحبة الوجه. فشعرت بالدرابزين كأنه ينهدم تحت ثقلها عندما استندت اليه بكل قواها. لكن، عندما رأت كارلوس امامها يسد عليها الطريق للدخول الى المنزل، راح قلبها يخفق بقوة فألقت نظرة سريعة تحتها. . . فكادت تقع على الصخور.

فقالت بصوت متقطع ومنفعل:

«شكراً، يا كارلوس. لقد سبق أن قال لي. . . لينوس، ان عليه وضع درابزين جديد».

«لكن هذا العمل كان سيئاً للغاية، كما ترين!».

افلت يده عن فستانها، لكن يده الساخنة ظلت على ذراع سارة. . . وقبل ان تفهم ماذا يرى وجدت نفسها بين ذراعيه. فجذبها نحوه وعانقها قائلاً بعد لحظة صغيرة:

«سارة. . . يا سارتي الناعمة. . .».

كان يمسكها بطرف ذراعها وعلق نظره الحنون والدافء في عينيها. ثم اضاف ببساطة:

«احبك».

اطلقت زفرة كبيرة آتية من اعماق قلبها وانضمت اليه من جديد. وعانقته وهمست وعيناها تلمعان وقلبها ينبض بالامتنان لهذه الفترة السعيدة التي تعيشها:

«احبك، يا كارلوس. خفت كثيراً».

تجهم وجه كارلوس قليلاً وسألت:

«ومماذا خفت؟».

اجابت بصوت خجول:

«خفت الا تحبني. انا. . . احبك منذ وقت طويل».

لم يسألها منذ متى تحبه. كان يعتقد انها وقعت في حبه بعد لقائهما الجديد. ستوضح له عن هذا الموضوع في وقت لاحق.

قال لها بلهجة غريبة:

«يا حبي، لا يجب ان تشكي بالأمر بعد الآن. كل شيء سيكون على ما يرام. انا اكيد من ذلك».

وقبل ان تتمكن سارة من الكلام كان كارلوس قد ابتعد عنها بعدما سمع اصواتاً وضجيجاً تقترب منها. وصل لينوس الى الشرفة يرافقه رجل قبرصي يوناني. للحال قام كارلوس بلفت انتباه لينوس الى الدرابزين فصرخ بارتباك:

«يا الهي! ماذا جرى؟».

«كادت سارة ان تقع على الصخور. فالتقطتها في الوقت المناسب».

قال لسارة:

«انني متأسف للغاية لما حدث».

اعتذر ووعد بأن البناء سينال جزاءه على تقصيره هذا.

ثم اضاف:

«يجب دائماً مراقبة اعمال العمال!».

طلب الرجل القبرصي من كارلوس اذا كان بامكانه ان يسمح له في التحدث اليه لحظات قصيرة. ثم شرح لسارة قائلاً:

«هناك امور مهنية اريد ان استشير كارلوس بها. اذا كان هذا لا يزعجك. . .».

اجابت مبتسمة:

«ابداً».

ثم قالت لكارلوس:

«ساكون في الداخل».

«حسناً لن امكث طويلاً».
هبط كارلوس السلالم مع الرجل حتى الحديقة وران الصمت بعد غيابهما. اخيراً تكلم لينوس قائلاً بلهجة قاسية:
«كنت اعتقد ان كارلوس اخوك؟».
«انه اخي بالتبني. لقد سبق ان قلت لك ذلك».
«اذن، لستما قريبين فعلاً».
اخفض لينوس عينيه نحو وجه الفتاة الممتقع وتمكن من قراءة عينيها الرماديتين. فلمحت نظرته القاسية. تردد لحظة قبل ان يتابع:
«لقد رأيتك تعانقينه. هل سبق ان التقيت بالمرأة التي سكنت عندها ريان خلال اسبوع كامل في نيقوسيا؟».
انتفض قلب سارة واجابت بصوت اجش:
«كلا. . . اعرف انها موظفة في مكتب كارلوس في نيقوسيا. كان . . . زوجها يعمل عند كارلوس قبل ان يموت. . .».
انطفأ صوتها عندما لمحت تعبير وجه لينوس واضافت بلهجة عنيفة:

«هذا ما اخبرني كارلوس به».
«هذا صحيح. كارلوس غير قادر على الكذب. لكنه لم يقل لك كل شيء. الرجل المتوفي كان مدير المعمل الذي يملكه كارلوس. توفي منذ سنة تاركاً زوجة رائعة الجمال تدعى انولا وابناً عمره خمس سنوات. فاقترح كارلوس حينذاك على انولا ان تعمل كسكرتيرة في المعمل. . .».
قاطعته بلهجة عصبية وقالت:
«اخبرني كارلوس كل هذا».
«اشك في الأمر».
تلألأت عينا لينوس فجأة واتضح لها انه يغار كالمجنون. تابع

يقول ببطء ليزيد من تعذيبها:
«لكنه لم يقل لك، يا عزيزتي، انه مخطوب لها. . .».
«مخطوب! لا اصدقك!».
اكمل لينوس كأنها لم تقاطعه:
«عندنا، الخطبة هي اتحاد قوي كالزواج. لا احد يكسر الخطبة. واذا فعل كارلوس هذا الشيء، سيلطخ سمعته بالعار الى الأبد».

٩ - الزائر الصديق

سارة وريان تلعبان في الحديقة. وكولن جالس على كرسي طويل يراقبهما بابتسامة مرحة. وعلى الشرفة يقرأ جليبر ما دونته سارة خلال اقامتها في فاماغوست من انطباعاتها الشخصية. ثم يعلن بفرح ان ما كتبته يستحق استعماله في كتابه. كان اليوم نهار السبت وأتت سارة بريان في الصباح الباكر. فتناولت الفتاة الصغيرة الغداء في الفيللا بينما وعد كارلوس بالأمس على الهاتف انه سيمر للتعرف على كولن الذي وصل لتوه.

رفع الكاتب عينيه عن الاوراق لينظر الى ريان التي تضحك بفرح وهي تلهو مع سارة. كانت الفتاة تركض في كل الجهات لتتخلص من ايدي عمتها.

«آه! لقد التقطتك!».

ضمت سارة الفتاة بين ذراعيها. فنظرت ريان اليها بعينيها الخضراوين المليئتين حباً وقالت:

«انت تعرفين جيداً سرعتي، يا عمتي سارة، لكنك تضيعين الوقت قبل ان تلتقطيني».

مسحت ريان العرق المتصبب على جبينها واضافت:

«آه! كم الطقس حار!».

«اذن لنسترح الآن ونأخذ بعض المشروبات المنعشة».

يداً بيد توجهتا صوب كولن. لكن ريان اسرعت نحو جليبر وجلست على ركبته. وبقيت سارة وكولن وحدهما.

قال كولن بصوت جاف:

«ما هذا التغير المفاجىء الذي طرأ عليك! اين تلك الفتاة الباردة التي عرفتها من زمان؟».

ضحكت بينما كان قلبها عطشاً بخيبة الأمل:

«هذا تأثير الجزيرة. هنا، الجميع لا يشعرون بثقل الهموم».

اغمضت عينيها: تتألم على نفسها وعلى كارلوس ايضاً.

نظر كولن الى ريان التي تمسك بعنق جليبر وقال بلهجة تحد:

«هل تتذكرين ما كنت تقولينه لي عن الأولاد والحياة العائلية؟».

تنهدت ثم جلست على العشب رافعة ركبتيها حتى عنقها. عيناها مبللتان وفمها الجميل يرتجف. نظر اليها كولن بدهشة وقلق وسألها:

«هل هناك شيء يقلقك، يا سارة؟».

هزت رأسها من دون جواب. كانت بحاجة ماسة ان تتحدث الى

احد ما. كان يجب عليها ان تفشي بسرها لجيلبير، لكنه منغمس بالكتابة الى درجة كبيرة ولا تريد ازعاجه. فهي تعرف انه سيقلق عليها كثيراً، وبالتالي لن يعود قادراً على التركيز في عمله المبدع. فجأة نهضت واقفة وقالت:

«لنتنزه قليلاً وسأخبرك بكل شيء».

نظرت الى جيلبير والى الفتاة في حضنه وسألته:

«هل بامكان ريان ان تبقى معك مدة عشر دقائق؟».

هز رأسه ايجاباً.

وقبل ان يغادرا الحديقة، سألها كولن:

«سارة، ماذا يجري؟ تبدين مضطربة كلياً، خاصة عندما جلست على العشب».

فكرت برهة قبل ان تجيب:

«لقد اخبرتك مرة عن كارلوس. هل ما زلت تتذكر، يا كولن؟».

«كيف انسى ذلك؟».

«لقد جعلتك تعتقد انه بالنسبة اليّ اخ لا غير».

ران صمت طويل. رمقها كولن بنظرة سريعة وهما يتوجهان نحو الباب الحديدي، ثم قال:

«نعم، هذا صحيح».

آلياً، مدا يديهما معا ليفتحا الباب ولمست يده يدها. فضغط كولن على يدها بشدة فشعرت سارة بارتياح وقالت:

«لم اقل لك الحقيقة؟ لقد وقعت بغرام كارلوس منذ ان كنت في سن السادسة عشرة».

ردد وهو يتذكر الحديث الذي تناولاه في انكلترا ليلة الاحتفال بعيد زواج جدّيه الذهبي:

«ست عشرة سنة؟! اي عندما تزوج هو، أليس كذلك؟».

هزت رأسها موافقة وقالت:

«عرفت انني احبه يوم عرفني فيه الى اليسون. لقد كتبت لك في رسائلي انها توفيت».

«واخبرتني ان كارلوس قد رضي عنك. لكنك لم تخبريني عن حبك له».

«لم اكن اعرف حينذاك انه يحبني».

قال بصوت مندهش:

«هل يحبك؟».

لا شك انه كان يعتقد انها تعسة لأن كارلوس رفض حبها فقالت:

«نعم، يا كولن. انه يحبني».

«في هذه الحال، اين تقع المشكلة؟».

فتح لها الباب الحديدي ودعاها للخروج امامه.

«لقد عقد خطبته على امرأة اخرى؟».

«خطبة؟ هل خطيبته امرأة قبرصية؟».

«نعم. لا اعرف اذا كنت تعلم ان الخطوبة هنا في قبرص هي بمثابة الزواج. وتتم الخطوبة في الكنيسة حيث يتبادل الخطيبان خاتم الخطبة. لا احد هنا يكسر الخطوبة».

قطب كولن حاجبيه وقال:

«لا افهم جيداً. اذا كان كارلوس خاطباً، فكيف وقع بحبك وفتح لك قلبه وحقيقة عواطفه؟».

«كان يناضل ضد هذا الحب. لكن جاء يوم وقرر ان يأخذ قراراً. اعرف الآن انه مستعد ان يصرح لأنولا انه غير قادر على الزواج منها. لا يوجد اي حب بينهما. غير ان انولا امرأة وحيدة وام لصبي صغير.

وكان كارلوس يعاني الوضع نفسه. فصمما على الزواج لمصلحة الولدين. ولا شك ان كارلوس فكر بأن الزواج سيؤمن الاستقرار لريان».

«هل قال لها انه لن يتزوجها؟».

لم ترد عليه في الحال. اخيراً قالت:

«ذهب خصيصاً الى نيقوسيا ليحدثها. عادة لا يذهب الى العاصمة بصورة مستمرة بالرغم من وجود مكاتب عمله هناك. اذن، ذهب كارلوس ليراها، لكن لم تكن ردة فعلها كما كان يأمله...».

«كان يتصور انها ستفك العقد وبالتالي سيكون قادراً على الزواج منك».

«ليس هذا بالضبط. في الواقع قالت له انولا، عندما عقدا خطوبتهما، انه اذا احدهما وقع بحب انسان آخر قبل الزواج فبامكانه فك العقد، فقبل كارلوس هذا العرض، لكنه لم يكن يتصور ان ذلك سيحصل له، لأنه لم يكن ميالاً الى النساء. لكنه عندما عرف انه يحبني، حاول مجابهة عواطفه. وقرر اخيراً ان يلغي العقد. لكن انولا، عندما علمت بالأمر راحت تبكي وتولول وقالت له انها مصرة على الزواج منه. بالنسبة اليه، اصبحت المسألة تتعلق بالشرف. وهو الآن مضطر ان يخضع لارادة خطيبته».

«عليه اذن ان يتزوج من امرأة لا يحبها؟».

«اعتقد... انه سيتزوجها».

«لكن، انت...؟».

هبطا ببطء داخل الممر الذي تحده اشجار الحمضيات، فالبيوت البيضاء ساخنة تحت اشعة شمس الظهيرة. حدائقها مليئة بجميع انواع الازهار والبقول. هنا وهناك شجرة نخيل تتأرجح في بطء تحت

السماء الزرقاء، بفعل نسيم ناعم آت من البحر.

قالت سارة:

«ربما تتساءل ما اذا كنت سأتصرف مع كارلوس كعشيقة له؟».

اجاب بلهجة حنونة:

«لا يمكنني ان اصدق ان مثل هذا الشيء يصدر عنك».

امتلأت عيناها دموعاً وقالت:

«ولا انا. لكن الآن...».

«انت اذن تتألمين كثيراً؟».

«لا يمكنني ان اعيش من دونه. سأقاوم لوقت ما، لكنني اخاف ان استسلم له يوماً ما».

ظلا يمشيان بصمت، ثم سألها كولن اذا كان بامكانه ان يطرح عليها سؤالاً محرجاً. فهزت رأسها.

«هل اقترح عليك كارلوس ان تقومي معه بعلاقة عاطفية؟».

«كلا... لكن زواجه سيكون زواجاً ابيض، لا غير».

«هل قال لك كارلوس هذا الكلام؟».

«نعم، منذ وقت قصير. كان يأمل دائماً ان يصار الى تدابير معينة ترضي انولا وتقنعها بالقبول بالانفصال. لذلك السبب لم يقل لي هذا الكلام قبل ذلك. شاب قبرصي يدعى ليتوس وقع بغرامي لكنني رفضت الزواج منه. ولهذا السبب اخبرني بخطبة كارلوس وانولا للانتقام طبعاً. اذ شاهد كارلوس يقبلني، فتصرف بدافع الغيرة».

«هل قال لك كارلوس ان زواجه من انولا سيكون زواجاً ابيض؟».

«نعم، لكن بطريقة غير مباشرة. لم تكن انولا تريد ان يكون زواجهما زواجاً حقيقياً ما داما لا يحبان بعضهما. فقد احبت زوجها

الأول. كما تجد ان العلاقة الجنسية مع شخصين لا يحبان بعضهما هي علاقة غير اخلاقية حتى ولو كان الشخصان متزوجين...».

«وهل تعتقدين ان كارلوس سيعيش حياة الناسك طيلة عمره؟».

«انا اكيدة انه كان على استعداد لتقبل هذا النمط من الحياة، لو لم تلتق من جديد».

«هل تعرفت الى انولا؟ كيف هي؟ ما عمرها؟».

«عمرها ٢٤ او ٢٥ سنة، على ما اظن. انها جميلة جداً ولطيفة وناعمة للغاية».

ردد كولن مندهشاً:

«وناعمة جداً؟ كنت اتصورها امرأة متملكة وشرسة».

«لا ابداً. وهذا ما يجعل الوضع ميؤوساً منه. لنفترض انني تورطت في علاقة مع كارلوس، لا يمكنني القول بأنها تستحق ذلك وسأظل نادمة على ما فعلت».

«اذن لن تقومي بعلاقة عاطفية معه؟ هل تعتقدين ان كارلوس يتقبل الوضع؟».

افهمت كولن ان التجربة ربما تكون اقوى منه. فقال كولن للحال:

«حسبما اخبرتني عن كارلوس، انا اكيد انه لن يتخذ منك عشيقة».

راحت سارة تتخيل المشهد المحفور في ذاكرتها. فقد افصحت لكارلوس انها على علم بخطوبته. وبعد ان شرح لها كل شيء ضمها في ذراعيه بحنان. كانا وحيدين في منزل كارلوس، في الصالون الجميل الذي يطل على الجبال. هذا الشعور الحميم جعلهما متوترين، الى درجة انهما كادا ان يستسلما للعاطفة العميقة التي

تجذبهما. لكن اخيراً، اخترقا الوضع مدركين انهما وصلا الى الهوة الحاسمة... حاسمة لأنه من المستحيل، بعد ما حدث، ان يعودا الى الوراء.

بعد ذلك اليوم التقيا مرات عديدة وسمحت لهما الظروف للاختلاء قليلاً، فكانا يتعانقان ويهمسان بالكلمات الناعمة، لكن اشارات الحنان هذه لم تجرفهما الى نقطة اللاعودة. واعترفت سارة في اعماقها ان رباطة جأش كارلوس وحدها هي التي نجتهما من الوقوع في الخطر.

عادت الى الواقع وهي تسمع كولن يقول لها:

«لا افهم كيف لم تسمعي بخطبته من قبل. حسب رسائلك فهمت ان الناس في القرى يعرفون كل ما يدور بأمور ومشاكل الغير».

«طبعاً. نعم. لكن انولا تعيش في قرية بعيدة عن منطقة بافوس. وهناك تمت الخطبة. وكانت مصرة على المحافظة على سرية هذا الاحتفال. حسبما فهمت، انها امرأة خجولة تعيش حياة منعزلة».

«فهمت. لكن لينوس كان على علم بذلك...».

«وهذا ما فاجأ كارلوس. قال لي لو انه كان يتوقع ذلك من لينوس لما تركني وحدي معه. لكنه كان يشعر ان لينوس يشك بعلاقتنا الاخوية، وانه لربما عرف اننا نحب بعضنا، وغيرته هذه فضحت الأمر. ومن جهة اخرى، فقد جرح في عزة نفسه عندما رفضت الزواج منه. كان كارلوس ينوي اخباري كل شيء، لكنه كان يريد، في بادىء الأمر، محاولة اقناع انولا مرة اخرى، على التراجع عن عنادها وتصلبها».

توقفت ثم تذكرت كلمات كارلوس التي بدت لها حينذاك غريبة:

«كل شيء سيكون على ما يرام، انا اكيد من ذلك».

«هل يعرف كارلوس كيف اكتشف لينوس خطوبته؟».

«لا اعتقد ذلك. فكر كارلوس مطولاً بالأمر لكنه لم يجد سوى حل واحد ممكن، حتى ولو قبله عن مضض اذ يعتقد ان لينوس ربما قرأ رسالة او جزءاً منها ارسلتها انولا لكارلوس. لأنه في احدى الامسيات كان لينوس مدعواً عند كارلوس، وعلى الطاولة كانت رسالة انولا. ابتعد كارلوس ليجلب المشروب. وهنا لا شك ان لينوس قرأ الرسالة بغيابه. وكان الامضاء:

«خطيبتك، انولا».

قررا العودة الى الفيللا. وبعدما توقفا امام منزل المختار ليتبادلا الحديث العادي، دعاهما المختار الى مشاركته في الغداء الذي كان يجب ان يأخذه في الحديقة. لكنهما اعتذرا واكملا الطريق حتى وصلا الى الفيللا.

سأل كولن وهما يدخلان الحديقة ليلتحقا بجيلبير وريتان:

«هل يعرف جيلبير بالأمر؟».

«لم اقل له شيئاً، كي لا اعرقل عمله. انت تعرف كم هو قلق عليّ».

اجاب كولن من دون عداوة او لوم:

«لكنه لم يقلق علي ابداً».

«وصرح لي انه اذا كان كارلوس لا يحبني كما انا احبه، فسيندم طيلة حياته لأنه جاء الى قبرص ليؤلف كتابه».

«انه اذن يعلم حقيقة مشاعرك تجاه كارلوس؟».

«نعم، هذا كل ما صرحت به حتى الآن».

«اليس هو فضولي لمعرفة تطور الوضع؟».

«انه منغمس بأعماله الى درجة انه لا يفكر بشيء آخر. لا شك

انه ينتظر مني ان اعلمه بتطورات الأمور متى حان الوقت وسمحت الظروف. صحيح انه يهتم بي جداً، لكنه لن يطرح علي اسئلة خاصة الا ان كنت البادئة في تناول الموضوع».

«لكن، سينتهي به الأمر ان يتساءل ماذا يجري؟».

«فيما اذا كان كارلوس يحبني ايضاً؟».

هزت رأسها واضافت:

«آمل ان اظل قادرة على السكوت حتى يكون قد حقق جزءاً كبيراً من كتابه. حينئذ سأقول له الحقيقة. حتى ولو كنت سأسبب له بعض الألم».

«هذا امر حتمي، فكما قلت، سيندم لأنه اصطحبك معه الى قبرص».

وصل كارلوس في المساء متأخراً، لأنه كان منهمكاً بالرد على الهاتف. ابتسم بحنان الى سارة وحدق بها مطولاً قبل ان ينظر الى جيلبير الذي وقف ليقدم له ابن اخيه كولن.

تصافح الرجلان باليد. وكان كولن اشقر فاتحاً بينما كارلوس اسمر غامقاً. التناقض كان واضحاً لكن الاثنين كانا وسيمين وجذابين. . . كل واحد حسب طريقته الخاصة. اعجبا ببعضهما منذ الجلسة الأولى وفرحت سارة لهذا الأمر لأنها كانت تخشى ان يكون كارلوس يغار من كولن. وهو يعرف انه كان صديقها منذ خمس سنوات.

وعندما اخبرته عن كولن واعلمته بمجيئه ابدى قلقه بقوله:

«تعرفينه منذ خمس سنوات! وهو رجل حر».

اجابت ببساطة:

«انني احبك يا كارلوس ولن يكون هناك ابداً رجل آخر في حياتي».

اجابها كارلوس وبريق قاتم في عينيه الخضراوين:
«تحبني منذ زمن بعيد. . . منذ سن المراهقة. . . .».
لقد اخبرته سارة بهذا التفصيل يوم كانا يخبران بعضهما الاسرار الصغيرة في حياتها الماضية وهتف حينذاك:
«حبيبتي، ماذا سيحل بنا؟».
اخذت رأسه بين ذراعيها كأنها تؤرجحه واجابت:
«ربما غيرت انولا رأيها».
ثم رددت بصوت شغوف:
«نعم، ستغير رأيها، يا كارلوس».
شعرت انه كان على وشك البكاء لشدة تألمه غير انه اكتفى باطلاق زفرة عميقة فوق صدرها وقال بلهجة خائبة:
«لن تغير رأيها ابداً. انها وحيدة وتخاف المستقبل. وانا اتفهم وضعها، انها لا تهتم بنفسها مثلك يا سارة. فهي غير قادرة ان تعيش من دون ان تستند الى رجل في حياتها. انه الخوف وليس غريزة التملك ما يمنعها من فك خطوبتنا».
اضاف كارلوس بأن انولا امرأة قبرصية خجولة ولا يمكن لسارة الا ان تحبها متى تعرفت عليها. وتلبية لأمنية سارة، اصطحبها كارلوس في اليوم التالي لزيارة خطيبته في نيقوسيا. فلاحظت سارة ان انولا بدأت ترتجف عندما قدم لها سارة المرأة التي يحبها. كان الوضع غريباً، لكن لم تنشب بين الأمرأتين اية عدائية، او اصطدام.
بعد هذه الزيارة. شعرت سارة بتفاؤل، وفهمت ان الزواج لن يتأخر موعده. لكنها غير اكيدة اذا كان كارلوس سيوافق على الزواج منها بهذه السرعة. غير ان سارة كانت اكيدة بشكل تام انه لن يتخلى عن خطيبته. عندما قرر الزواج من انولا كان مقتنعاً انه الحل الافضل لانجاب اولاد، وكان متأكداً انه لن يقع في حبها او في حب

اي امرأة اخرى. اما اذا كانت انولا تريد ان تتزوج من رجل آخر، لكان قبل كارلوس الغاء العقد. وفي كل الأحوال سيتم الزواج، لأنه في قبرص لم يسمع احد بفك اي خطبة الا بعد اتفاق مشترك بين الخطيبين.
جاءت ريان وقطعت حبل افكار سارة وسألتها اذا كانت تحب ان تلعب معها في الحديقة قبل موعد العصرونية.
سألتها سارة:
«الا ترهقين نفسك بالركض المستمر، من دون توقف؟».
وتذكرت سارة الفتاة العاقلة الجامدة التي كانت تخاف ان توسخ فستانها. اما الآن فأصبحت ريان عفريتة كالصبيان. وتذكرت كم بذلت من جهد لتقنع كارلوس بأن ريان بحاجة الى ان تتصرف كأبنة من عمرها. كارلوس يخشى ان تشعر ابنته بأنها مهملة ولا يحبها احد. فيما اذا تركها توسخ ملابسها او تشعث شعرها.
لكن سارة بذلت جهداً ايضاً في الاهتمام بالفتاة. فراحت تلعب معها في اي مناسبة وتقص عليها الحكايات. فتفتحت الفتاة وراحت تعبر بكل حرية عن شعورها وخاصة عن عاطفتها القوية لعمتها. ومن جهة ثانية بدأت ريان تحب والدها اكثر، لأنه اصبح متفرغاً اكثر وتراه معظم الاحيان، وذلك بسبب عمتها سارة.
اجابت ريان:
«اشعر بالتعب احياناً. قال لي والدي امس اني ارهق نفسي ولا شك اني اتعب احياناً حتى الموت، لكنني رفضت ان افصح له بالأمر».
ثم راحت الفتاة تلعب بالكرة مع كارلوس وكولن لوقت طويل، مما جعل جيليير يقول لسارة:
«يا لها من فتاة لطيفة. لقد قمت بعمل بناء معها، يا

سارة».

ابتسمت له وشعرت بدفء في اعماق قلبها. انها محظوظة بهذا الصديق الحميم، فهي تعرف انها ستغادر كارلوس يوماً ما، وسيظل جيلبير صديقها في ايام الوحدة التي تنتظرها.

اجابت:

«لم يكن الأمر صعباً للغاية. فما ان بدأت ريان بالتحرر حتى اصبح التغير جلياً».

هز جيلبير رأسه ونظر الى ريان وهي تلعب مع الرجلين ثم قال:

«الأولاد يتكيفون بسرعة في هذا العمر. يريدون استمالة اعجاب الغير بهم».

غير ان ريان لم تحاول استمالة لطف والدها في هذا الوقت بالذات. فما ان انتهى اللعب والمرح حتى راحت تناقشه بجدية حول الوقت الذي ستذهب فيه الى فراشها. قال كارلوس في لهجة قاسية:

«حان الوقت لأن نعود الى المنزل».

«انا ما زلت بحاجة الى عشر دقائق. . .».

«لا تنسي انك بحاجة الى نصف ساعة على الأقل كي تصيري جاهزة للنوم».

صرخت ريان قائلة:

«عمي جيلبير، هل بامكانك ان تطلب من والدي ان يبقى قليلاً بعد؟».

الجميع قهقهوا من الضحك. نظرت ريان الى جيلبير نظرة واثقة وتلألأت عيناها فرحاً عندما قال لكارلوس:

«لا اريد ان اتدخل بينك وبينها، لكن بامكانك ان تدعها تنام

هنا. وما رأيك ان تبقى للعشاء معنا؟».

نظر كارلوس الى سارة في الحال ورأى في عينيها الحاحاً بالقبول. فوافق على عرض الكاتب للحال واضافت ريان بحماس:

«وبامكاني ان انام من دون قميص نوم. غالباً ما انام من دونها عندما يكون الطقس حاراً كاليوم».

نظر كارلوس الى ملابس ابنته، لكن جيلبير قاطعه قائلاً:

«آه! من دون تملق وحركات. لنبق كما نحن. ما رأيكم جميعاً لو نتناول كأساً في الدار؟».

«وهل بامكاني ان آخذ كأساً معكم؟».

«كلا، يا ريان. هذا غير وارد. بامكانك ان تبقي نصف ساعة معنا، لكن بعد ذلك، عليك ان تذهبي الى فراشك. واذا كنت تريدين مناقشة هذا المشروع، اعيدك فوراً الى البيت».

وبطبيعة الحال، فضلت الفتاة السكوت. وبعد نصف ساعة، اعطتها سارة حماماً فاتراً ودخل كارلوس الى الغرفة عندما كانت سارة تضع ريان في فراشها استعداداً للنوم، فتمنى لابنته ليلة سعيدة كي يتمكن من البقاء بضع دقائق وحده مع سارة بعدما اقفل باب الغرفة.

همس بصوت حزين:

«حبيبتي، احبك كثيراً. لماذا لم تأتي اليّ من زمان؟».

«لو كنت اعرف. . .!».

لم تضف شيئاً واستسلمت لعناقه. كانت تضمه اليها بحنان لتجعله يشعر الى اي درجة هي بحاجة اليه. وفكرت بمرارة ان كل هذا العذاب لا يجدي شيئاً. لو كان كارلوس انكليزياً او اميركياً، لكان بامكانه فك عقد الخطوبة من دون ان يشعر بالعار.

اخيراً قالت:

«حبيبي، يجب ان نلتحق بالآخرين. سيتساءلون لماذا تأخرنا».

هز رأسه وابتعد عنها قليلاً ليحلق بها بعمق ولهب وقال:

«لو احترمت انولا وعدها، لتغير الأمر كلياً. لكنها تخاف من الوحدة. وهذه هي حال جميع القياصرة».

بدآ يداً بيد مشيا في الممشى ولم يفترقا الا في اللحظة الاخيرة قبل مواجهة الحضور. جيلبير وكولن يثرثران في الصالون. اخبره الكاتب انه سيكون من بين المدعوين، في جميع الظروف ولا مجال له للتهرب. لكن كولن اجابه انه يفضل ان يرتاح قليلاً.

ثم سأل سارة عندما جلست على الاريكة قرب كارلوس:

«وانت، يا سارة، هل تتحملين الوضع؟».

«انا وجيلبير، نتنفس قليلاً عندما نذهب خارج لابيتوس. نعمل كثيراً وفي المساء نستريح. هكذا لا نرهق انفسنا كلياً».

انطفأ صوتها فجأة. من الباب الزجاجي المفتوح نظرت الى الشرفة باندهاش. هناك رؤوس كثيرة حجبت نظرها. اطلق كارلوس صرخة بتعجب واستغراب وخرج بخطى سريعة. لحدم انولا وارتمت بين ذراعيه. وسمع الجميع من الداخل بكاءها وصراخها الجنوني.

«نيكولا لطمته سيارة... حاولت الاتصال بك، فقيل لي انك غير موجود. لم اصدق. ذهبت الى المنزل. فقيل لي انك هنا... كارلوس، تعال معي الى المستشفى. لا يريدون ان يدعوني ارى ابني... اخاف ان يكون قد مات».

تأبط ذراع انولا وآنسها بكلمات لطيفة. ففوجىء جيلبير بالأمر، بينما نظر كولن الى سارة مستغرباً.

سأل جيلبير سارة:

«ماذا يعني كل هذا؟ من هي هذه المرأة؟».

اجابت بصوت مرتجف:

«تدعى انولا... انها... انها خطيبة كارلوس...».

توقفت لحظة ثم اضافت:

«كانا مخطوبين قبل ان نأتي الى قبرص».

١٠ - لعبة القدر

«يا ابنتي الحبيبة، انا افهم جيداً عاذا تشعرين. واعرف ايضاً ان البكاء يخفف العذاب عند النساء. هذا ما كانت تقوله لي زوجتي دائماً».

هذا المشهد حدث في صباح اليوم التالي، عندما اقترح جيلبير على سارة ان تدخل معه الى مكتبه، حيث بامكانها التحدث معاً على حدة.

انقلت حنجرة الفتاة وهي تقول:

«انت لطيف جداً، يا جيلبير. صحيح، ربما البكاء يشعرني بتحسن».

راحت تتذكر حادثة الأمس: طلب منها كارلوس ان تبقى مع

اتولا ليذهب بالسيارة مع جيلبير. ثم اخذ المرأة الى نيقوسيا. واكتشف ان العاملين في المستشفى ابعدوا اتولا عن ابنها لأن الصبي كان في غرفة العمليات لتجرى له عملية جراحية غير خطرة. وعد الأطباء باخراج الولد من المستشفى بعد اسبوع تقريباً. رفضت اتولا ان تبقى وحدها فأعادها جيلبير الى الفيللا.

سأل كارلوس جيلبير معتذراً:

«هل بامكانك ان تسمح لها بالبقاء هنا؟ لا اريد ان استضيفها عندي لأن لا احد يعرف اننا مخطوبان، ولا احب سماع الاشاعات والأقاويل».

«طبعاً. ستبقى هنا بكل طيبة خاطر».

غير ان سارة لاحظت ان جيلبير قبل طلب كارلوس على مضض، لأن لا خيار له.

قال جيلبير لسارة بعد مضي وقت على الحادثة:

«صحة اتولا هي قبل اي شيء آخر. انها على وشك ان تصاب بانهيار عصبي».

كان كولن موجوداً معهما، فلاحظت سارة انه حزين فسألته:

«هل هناك شيء يزعجك، يا كولن؟».

فوجىء بالسؤال... لم يكن يلاحظ ان تعابير وجهه قد تغيرت الى هذه الدرجة.

قاطع جيلبير حبل افكار سارة وقال:

«لن اعمل اليوم. اذا كنت تريدين ان آخذك الى مكان ما بعيداً عن المنزل، فلا ترددي بان تسأليني».

قالت بلهجة آسفة:

«اعرف ان مشاكلي تمنعك من العمل. ولهذا السبب لم اكن اريد ان اخبرك بالأمر. قلت لي انني اذا شعرت بالحزن وخيبة الأمل

فستندم لأنك جئت بي الى هنا».

«اتذكر ما قلته وهذا ما اشعر به اليوم».

«لا يجب ان تندم على شيء. مهما كان المستقبل، سأحتفظ بذكريات حلوة عن قبرص. في كل حال كارلوس وانا سنظل على اتصال. سنراسل بعضنا... لكن... فقط مثل شقيق وشقيقة...».

خبأت راسها بين يديها وراحت تجهش بالبكاء كأن قلبها يتحطم.

فقال جيلبير بصوت مليء بالرأفة:

«يا ابنتي... آه! يا ابنتي».

سمعت الباب يفتح وكولن يقول بلهجة آسفة:

«آسف يا عمي. جئت... فقط لأسألك اذا كان بامكاني استعارة سيارتك، لكن... آسف لأزعاجكما».

توجهت سارة الى غرفة انولا لتراها قبل مغادرة المنزل. كانت جالسة امام النافذة تتأمل الحديقة بحزن. سألتها سارة لماذا لا تذهب وتجلس في الشرفة.

هزت انولا رأسها وانغمست من جديد في تأملاتها. كان النهار جميلاً وكانت جبال اناتوليا تبدو قريبة من بعضها وراء البحر الأبيض المتوسط. وعن قريب كانت اشجار الزيتون والحامض تهتز ببطء.

«عزيزتي انولا، لا جدوى لهذا اليأس الكبير. تعرفين الآن ان ابنك الصغير بحالة جيدة».

همست المرأة بصوت خفيض:

«لست حزينة بسبب نيكولا».

«ماذا هناك اذن؟».

اخيراً التفتت المرأة نحو سارة وقالت:

«انت تكرهينني، اليس كذلك؟».

«لا ابداً. لا احد بامكانه ان يكرهك».

فجأة صرخت المرأة القبرصية وهي تفتح الباب الزجاجي بسرعة كأنها ستختنق:

«انه لي. لماذا جئت الى هنا؟ لماذا كان عليه ان يقع في حبك؟».

الدموع تتساقط من عينيها. ازاحت نظرها متصنعة البحث عن منديل في جيبها. ثم خرجت الى الشرفة. لا هي ولا سارة لاحظتا وجود كولن في الحديقة تحت ظل شجرة الدلب القديمة.

تابعت المرأة قائلة:

«بامكانك ان تأخذيه مني، انا اعرف ذلك، لكن ارجوك الا تفعلي ذلك والا انتحر واقتل ابني الوحيد! اخاف ان ابقى وحيدة. كارلوس يعرف هذا، وكان لطفاً منه ان طلب يدي. ومنذ ذلك اليوم وانا انسانة سعيدة واقل تخوفاً...».

توقفت لتمسح الدموع من عينيها بطرف يدها. قدمت لها سارة منديلاً واقتربت منها الى الشرفة. وسمعتها تقول:

«صحيح اننا لا نحب بعضنا... لكنني هنا، الحب ليس كل شيء. فزواج الحب نادر في هذا البلد».

سألتها سارة بلطف شديد:

«الا تفضلين ان تتزوجي عن حب. ما زلت شابة وامامك الوقت لتلتقي بشخص تحبينه ويحبك».

«انت تحاولين ان تقنعيني ان اتخلى عنه... لكني لن افعل ذلك ابداً».

وانتابتها نوبة بكاء هزت كل كيانها. وغريزياً احاطتها سارة بذراعيها، فراحت انولا تبكي على صدرها كما كانت سارة تبكي منذ قليل على صدر جيلبير.

«ولو لم اكن اخاف من الوحدة لأعطيت كارلوس حريته. . .».

ابتعدت عن سارة وهي تجهش وتمسح دموعها.

«هنا المرأة ليست شيئاً من دون زوج. الناس يعاملونها بتسامح مع بعض التعجرف».

«اني افهمك كلياً».

ضاع آخر امل لسارة. لشدة خوفها لن تتراجع المرأة القبرصية عن امنيتها الوحيدة. والخوف وحده هو المسؤول عن تصرفها. . . ومن الصعب جداً التغلب على هذا الخوف.

«واريد. . . اريد ان اتزوج في اقرب وقت ممكن. ما كان يجب علي ان انتظر مطولاً. . . لأنني كنت آمل ان اقع في حب رجل آخر في هذا الوقت. . .».

توقفت عن الكلام واحمرت وجنتاها بشدة لادراكها ما جاءت تصرح به.

«ولو حدث انك وقعت في الحب، اما كنت تطلبين من كارلوس ان يتراجع عن وعده ويفك العقد؟ الم تحافظي على سرية الخطوبة، لهذا السبب بالذات؟».

سكوت انولا كان اعترافاً واضحاً. واخيراً نطقت قائلة:

«وانا اعرف بماذا تفكرين، يا سارة. لك الحق ان تحاكميني، لكنني لم اقع في الحب وهذا لن يحدث لي، لأنه من المستحيل ان التقي بالرجال. الزواج هنا يديره الأهل. سأتزوج اذن من كارلوس وقريباً جداً. وهو سيتزوجني لأنه انسان طيب وصادق».

وراحت تبكي فجأة وتضغط بيديها على صدر سارة. وتقول:

«لا تحاولي ان تأخذيه مني، ارجوك! اقطعي وعداً بذلك! عديني!».

اجابت سارة بصوت هادئ:

«اعدك بذلك، يا انولا. لا سبب للقلق بعد الآن. لست انوي محاولة التأثير على كارلوس. اعرف ان شرفه اهم من سعادته. انا اكيدة من ذلك».

«نعم. انه متحد بي. . . متحد بي، هل سمعت؟ وهنا لا احد يفسد هذا الاتحاد. . .».

«دعينا من ذلك. والآن ما دمت اقل توتراً، عليك ان تذهبي الى الحديقة وتتمتعي بالهواء المنعش».

ترددت قليلاً ثم سألت فجأة:

«انت ذاهبة ايضاً؟».

يا لها من فتاة مدللة. انها رائعة وبامكانها ان تجذب اي رجل ليقع في غرامها. سيتوصل كارلوس يوماً ان يحبها. . .

لكنها عدلت عن هذه الفكرة اذ فكرت بأن الحب الذي يربطها بكارلوس قوي الى درجة انه من المستحيل ان يحب كارلوس يوماً ما امرأة اخرى. لكنه سيعيش قرب انولا ويشاركها طعامها واوقات فراغها ويلعب مع اولادهما. . .

«كلا، يا انولا. لست ذاهبة الى الحديقة. جيلبير وانا سنقوم بنزهة في السيارة».

«سأبقى اذن وحدي؟».

«سنعود وقت الغداء. في كل حال وعد كارلوس ان يمر الى هنا في الصباح، ويكون معك».

«ربما، لكنني اعتقد انه يفضل ان يبقى في المنزل ويعمل هناك».

لم يعد لسارة ما تقوله. خرجت من الغرفة، فلحقت بها انولا. كولن الجالس تحت الشجرة رفع عينيه ونظر مطولاً الى وجه المرأة

القبرصية المتورم من البكاء. كما لاحظ ان سارة بكت ايضا، لأنه عندما نظر اليها، احمرت وازاحت وجهها. التحق بها جيلبير ودعى كولن ان يأتي معه وسارة. لكنه قال انه يفضل البقاء هنا في الحديقة حتى وقت الغداء. وبعدها ربما يذهب الى شاطىء البحر ليستحم.

قالت سارة للمرأة:

«هكذا سيكون معك رفيق».

تساءلت سارة في داخل نفسها اذا كان كولن سيكون سعيداً في البقاء مع امرأة قبرصية خجولة بالكاد تنطق بكلمة واحدة. فمساء امس شعر الجميع بارتياح عندما غادرتهم انولا باكراً لتذهب الى النوم، بعد ان امرها كارلوس بذلك، بحجة التعب والغم.

مفاجأة اخرى كانت بانتظار سارة بعد عودتها من النزهة مع جيلبير التي دامت ساعتين. اذ وجدت كولن وانولا يحتسيان الليموناضة ويثرثران كأنهما يعرفان بعضهما من مدة طويلة. ابتسمت سارة بالرغم من حزنها. تعرف ان كولن قادر على جذب المرأة بسرعة متى اراد ذلك. انه شاب وسيم، لكنه ينظر الى النساء بصورة عامة بلامبالاة. ليس عنده وقت يكرسه لهن ولا يحب حركاتهن المتصنعة.

وجيلبير كان ايضاً مندهشاً، اذ قال بعدما جلس قرب سارة:

«الظاهر انكما متفقان. هل تشعرين بتحسن يا انولا؟».

اجابت بخجل:

«نعم، شكراً، يا سيد هولغروف».

وللحال عادت من جديد لتنطوي على نفسها. وفهمت سارة ان الفتاة تشعر بالحرية مع كولن وحده.

سألها جيلبير:

«هل تعتقدين ان كارلوس سيأتي الى الغداء؟ انها الساعة الثانية

عشرة والنصف وهو يعرف اننا نتناول الغداء في الواحدة. قلت له ان يأتي اذا ما كان يرغب بذلك».

لكن كارلوس لم يظهر. فصرحت انولا لسارة بلهجة حزينة:

«لم يأتِ لأنني هنا. فهو زعلان مني. آه! انني متأكدة من ذلك، خاصة عندما ذكرني عدة مرات بأنني انا التي وضعت شرطاً لزواجنا، وبامكانية فسخ الخطوبة، اذا صدق ووقع احدنا في الغرام...».

توقفت لرؤية التعبير على وجه سارة واضافت بحزن:

«ها انا قد وترت اعصابك».

تنفست سارة الصعداء وقالت:

«هذا لأن هذا الحديث لا يجدي اي فائدة. ستتزوجين من كارلوس وانا بدأت اتقبل الأمر. وسأتخلى عنه نهائياً».

عضت انولا على شفتيها ورمقتها بنظرة عاتبة هامسة:

«افضل... افضل لو اكون انسانة ميتة».

ابتعدت سارة في الحال امام هذا الوضع الثقيل، لكنها اقترحت بلطف على انولا ان تذهب معها الى شاطىء البحر.

«لكننا يجب ان نعود في حوالي الرابعة لأن كارلوس سيأتي ليأخذني الى المستشفى».

«سنعود في الوقت المحدد، لا تخافي».

فضل جيلبير ان يأخذ القيلولة، لكن كولن قبل دعوة سارة التي اخذتهما بسيارة الكاتب الى شاطىء البحر. كان الثلاثة في بزة السباحة ومئزر الحمام. وكان الماء فاتراً. فشعرت سارة بارتياح لأن تسبح وتفرغ رأسها من الافكار العديدة التي طرأت في الأيام الأخيرة. لم تعد تفكر بشيء ولا بأحد. كولن وانولا يسبحان معاً. اما سارة فتوجهت نحو مجموعة من الصخور تقع في عرض البحر وخرجت من الماء وجلست على الصخر واغمضت عينيها لتحميها

من انعكاس الشمس على الماء الزرقاء. ومن هناك لمحت شخصاً يسبح وحده بسرعة ومهارة. وتساءلت كم يكون هذا الانسان شجاعاً ويحب المخاطرة. لا شك انه رجل، فالمرأة لا تجرؤ على المغامرة بعيداً.

نظرت في مكان آخر ورفعت يدها لترد باشارة على كولن الذي كان ممدداً على الشاطىء قرب انولا وعلى بعد كبير من مكان سارة. لكن فجأة شعرت برغبة ان تكون وحيدة كلياً ولا يراها احد. فنهضت وراحت تبحث عن مكان تختبىء فيه وراء الصخرة. جلست هناك وعادت تتأمل الرجل الذي يسبح بثقة واتقان. وتهيأ لها انه يتوجه نحو تجويف في الصخر، لكنه عدل عند ذلك واستدار ليسبح نحو الشاطىء.

وبينما كانت تنظر اليه بقلب نابض، قال لها حدسها ان هذا الرجل لا بد ان يكون كارلوس بالذات.

«سارة!»

خرج من الماء طويلاً، نحيلاً، اسمر، وقال:

«هل انت وحدك؟».

هزت رأسها وقالت وهي تشير باتجاه الشاطىء، وما وراء الصخور:

«كولن وانولا على الشاطىء. لم ار سيارتك، اين امضيت طيلة فترة قبل الظهر؟».

تذكرت في هذا الوقت بالذات انها لم تعر انتباهاً للسيارات الموقوفة خلف الشاطىء.

«جئت الى هنا في الثامنة صباحاً».

«في الثامنة!»

هل سيواصل كارلوس هذه الحياة المتوحدة المحرومة من العطف

والحنان، ما عدا حب ابنته؟ شعرت بألم حاد في حنجرتها وقالت:

«حبيبي، الم تتناول طعام الغداء؟».

جلس قربها فارتجفت. اجاب:

«لست جائعاً».

نظر باعجاب الى جسم سارة الاسمر، لكنها ازاحت رأسها خجلاً، فسألها:

«يا حبي، بماذا تفكرين؟».

رفعت وجهها نحوه ولاحظ الدموع تلمع في عينيها. فأخذها بين ذراعيه وبدا عناقها الصامت كأنه تحد كبير لكل الآلام والعذابات.

«آه! كارلوس... كيف بامكاني ان اعيش من دونك؟».

لم تكن تنوي قول هذا الكلام لأنها لا تريد ان يتألم. فقد وعدت انولا انها لن تحاول ان تأخذ كارلوس منها.

قال بصوت اجش ومتقطع الماً:

«وانا، كيف ساعيش من دونك؟ حبيبتي...».

عانقها بشغف وحرارة. كيف بامكانها مقاومته؟ فصرخت:

«كارلوس...».

تخبطت كي تدفعه عنها وقالت:

«كارلوس حبيبي، لا تدعني استسلم لك، ارجوك».

كان صوتها حزيناً جعله يندم على ما فعله وتركها. ثم وضع يده على شفتيه وقال:

«يا سارة الجميلة، الناعمة، سامحيني».

نظر اليها مطولاً في حنان رهيب. فقالت لتغير الجو:

«كارلوس، اشعر بالجوع، ما رأيك لو نأخذ شيئاً في المقهى القريب من هنا؟».

ابتسم ووافق ثم اجاب:

«ليس معي مال هنا. انه في السيارة».

وضحكا لما لاحظا ان لا احد منهما يحمل المال في هذه الظروف. لكنه وعدها بأنه سيطلب من خادم المقهى الذي يعرفه جيداً ان يدفع له في وقت آخر. توجها نحو الشاطىء بخطى بطيئة، ويدها بيده.

كان كولن وانولا جالسين على الرمال ينظران الى الافق، كأنهما زوجان يمضيان عطلة على شاطىء البحر. لم ينظرا باتجاه سارة وكارلوس اللذين قررا دخول المقهى من دونهما.

ونصحهما الخادم ان يتذوقا السمك الطازج الشهي مع البطاطا المقلية والسلطة مع الجبنة. فوافقا. وبعد قليل قالت سارة وهي تراقب كارلوس يأكل بشهية:

«يجب عليك ان تطلب صحناً اخر».

«صحيح انني لم اكن جائعاً، لكني عندما التقيت بك تغير الأمر. لماذا ابتعدت عن كولن وانولا وجئت تسبحين قرب الصخور؟».

«اردت ان اكون وحيدة».

«وانا ايضاً. لذلك ذهبت اسبح بعيداً لكن عندما رأيتك كنت تبدين مستوحشة جداً».

«صحيح. كنت اشعر بالضياع والوحدة».

بعد صمت، قالت بصوت مخنوق:

«انا سعيدة جداً لأنني كنت هنا عندما خرجت من الماء».

«لم اكن اصدق ما رأته عيناي».

تنهد ثم قال لها انه حان له ان يذهب لأنه وعد انولا ان يأخذها الى المستشفى.

«اعرف ذلك. لقد قالت لي بأنها تريد ان تكون في الفيلا قبل

الساعة الرابعة. اعتقد انها بدأت تقلق الآن».

قال كارلوس للخادم انه سيذهب الى سيارته ليأتي بالمال كي يدفع له ثمن الغداء. لكن الخادم لم يقبل قائلاً:

«تدفع لي في المرة المقبلة».

ثم خرجا متوجهين نحو كولن وانولا الجالسين بهدوء على شاطىء البحر.

بعد اربعة ايام قال جيلبير لسارة بلهجة غريبة بينما كانا جالسين في مكتب الكاتب:

«هل لاحظت الى اي درجة تغيرت انولا؟».

كان الكاتب قد توقف عن الكتابة بعدما نظر الى كولن وانولا الجالسين في الحديقة. نظرت سارة باتجاههما وقالت:

«من الصعب عدم ملاحظة ذلك. واعتقد ان كولن هو المسؤول عن هذا التغير. انه يشفق عليها... اسمع، انها تضحك بفرح. كل هذا لم يكن وارداً في بال احد منذ بضعة ايام».

وكارلوس ايضاً لاحظ هذا التغير لدى خطيبته وكان ممتناً. فقد دعا الجميع الى حفلة عشاء في منزله، وقال لسارة:

«من اين لأنولا هذا الفستان؟ لا اظن انه لك لأنك انحف منها».

«اصطحبت كولن انولا الى نيقوسيا في الصباح فاشترت هذا الفستان وفستاناً آخر ايضاً...».

اندهش كارلوس وقال:

«كانت دائماً ترتدي الثياب الجدية وما زالت تلبس ثياب الحداد على المرحوم زوجها».

«لم يكن لديها فعلاً الا ملابس سوداء، لكن كولن شجعها على شراء ملابس ملونة ليرفع من معنوياتها».

رفع كارلوس كتفيه وقال:

«واخيراً بدأت انولا تنفتح».

ظهرت حينئذ ماريا الخادمة واعلنت بأن العشاء جاهز.

كورتي برودهورست كان مدعواً ايضاً وراح يتحدث مع كارلوس وجيلبير، بينما كانت سارة تتحدث مع زوجة كورتي. لكن انتباهها كان محصوراً بكولن وانولا الجالسين قبالتها. كان يتحدثان بهدوء. ومن وقت الى آخر، كانت المرأة تحمر وعيناها تتلألأن فرحاً.

وسمعت سارة نفسها تقول: كم انها جميلة حقاً! لكنها سرعان ما ادركت امراً خطيراً. هل باستطاعة كولن ان يخدع هذه المرأة البريئة...

سأل كارلوس سارة بلهجة قلقة:

«هل انت على ما يرام، يا سارة؟».

تمكنت من مقاومة ارتجاف صوتها وقالت:

«نعم انا على ما يرام».

وفي اليوم التالي، كان كولن وحيداً، فقالت له بلهجة اتهام:

«اعرف انك تتآمر مع انولا، لكنني لن ادعك تواصل مخططك. هل انت من دون شفقة ولا رحمة؟ سيتحطم قلبها يوم ستغادرها. كيف يا كولن تمكنت من خداعها؟».

تساءل جيلبير ما يجري بينهما ووصل الى الشرفة وراءها، لكنها لم تلاحظ وجوده في الحال. فتابعت تقول:

«لا شك انك اقدمت على عمل شنيع، انا اكيدة من ذلك».

راحت الدموع تتساقط من عينيها وهي تضيف قائلة:

«لم اكن اتصور انك قادر على مثل هذا العمل الكريه! لن اعذرك ابداً».

قال كولن اخيراً:

«سارة، هل بامكانك ان تشرحي لي ماذا تعنين بهذا كله؟ انا

آسف لأني لم افهم شيئاً».

«انت تعرف جيداً ما اريد قوله!».

فجأة لاحظت وجوداً وراءها. فالتفت وقالت:

«جيلبير! كيف بامكان كولن ان يفعل هذا؟ جعل انولا تقع في حبه، بغية ان تفسخ خطوبتها مع كارلوس. لاحظت ذلك في عينيها مساء امس، خلال حفلة العشاء. انها بريئة الى درجة انها تعتقد ان كولن جدي في الأمر، لكنها ستصبح وحدها من جديد، فكولن سيرحل عنها».

ران صمت متوتر، قاطعه جيلبير سائلاً كولن بصوت قاس ما سمعت سارة مثله من قبل:

«هل صحيح هذا الكلام، يا كولن؟ هذا واضح انك اوليتها اهتماماً كبيراً منذ وصولها الى هنا، فلم يسبق ان رأيتك تهتم بامرأة هكذا من قبل».

«هذا صحيح، يا عمي... ذلك لانها المرة الأولى التي اكون فيها مع امرأة».

صرخ جيلبير وسارة في آن واحد:

«انت جاد! لكن لم يمر اسبوع على معرفتك بها».

اجاب كولن بسخرية:

«اعتقد انك لم تأخذ وقتاً اطول عندما وقعت بغرام عمتي سارة».

قالت سارة بصوت مرتجف:

«هل... هل تنوي الزواج من انولا؟ انولا امرأة شديدة الحساسية وسريعة العطب».

«اعرف ذلك. لن ادعها تتعذب ابداً. ولماذا افعل ذلك؟».

لم ترد عليه ثم نظرت الى جيلبير وقالت:

«هل طلبت يدها؟».
«لم اطلبها بعد. هذا صعب ما دامت مخطوبة لرجل آخر».
«هل فتحت موضوع فسخ الخطوبة؟».
«قلت لأنولا ان عليها ان تفسخ الخطوبة. وبالفعل اعتقد انها في الوقت الحاضر تهب كارلوس حريته».
«منذ قليل جاء كارلوس واصطحبها الى المستشفى لتزور ابنها الذي سيعود الى المنزل خلال يومين».
«ونصحتها ان تكلم كارلوس بالأمر...».
قال جيلبير بصوت جاف:
«هل هذا لأنك ترغب في الزواج منها؟».
اجاب كولن بصدق وثقة:
«طبعاً».
قال جيلبير اخيراً:
«سيكون هناك عرسان باذن الله!».
«المشكلة هي اني مضطر للعودة الى انكلترا لمباشرة عملي. لو كنت اعرف مسبقاً انني سأتزوج خلال وجودي في قبرص، لكنت طلبت الحصول على عطلتي كلها».
وشرح لهما ان انولا ستلتحق به في انكلترا وستعيش عند جديه بانتظار موعد الزواج.
اما سارة فكانت تشعر بحزن وشعور بالذنب، بدلاً من ان تكون فرصة لكون كارلوس حراً طليقاً، وبامكانه ان يتزوجها... لكن هل سيكونان سعيدين حقاً؟
... وبعد وقت قصير تبدل منظر الغسق الليلكي عندما كانت سارة وزوجها يتمشيان، متعانقين. النسيم الآتي من البحر ينشر اريجاً غريباً في الهواء. اصوات الماشية تأتي من بعيد والزيز يغني في اشجار

الزيتون. ومن الشرفة الممتلئة ازهاراً صرخ صوت يقول:
«مساء الخير، سيد كارلوس. مساء الخير سيدة كارلوس».
اجابا معاً:
«مساء الخير يا ديميتريوس».
سأل كارلوس بصوت ناعم وهو يضغط على اصابع سارة:
«ماذا هناك، يا حبي؟».
بقيت فترة صامتة لا تعرف ما تجيب. تزوجا منذ ثلاثة اشهر وبرغم قوة حبهما لم يعرفا السعادة التامة الا في اوقات مميزة. اخيراً قالت متنهدة:
«لست متأكدة اني ارغب في رؤية كولن وانولا».
«وانا ايضاً، لكننا اضطررنا لقبول دعوة جيلبير الى العشاء. وكذلك سنضطر ان ندعوهما الى العشاء بدورنا. هل انت على استعداد لمواجهة هذه التجربة؟».
«نعم...».
توقف ونظر اليها ثم عانقها بحنان وقال:
«حبيبتي، لا يمكننا ان نغير شيئاً. المهم هو ان نحاول ان نكون سعيدين».
«لكننا سعيدان».
لم يرد، فتابعت تقول بلهجة آسفة:
«اعرف انني افسد حياتنا التي بامكانها ان تكون رائعة، أليس كذلك؟ لكن لا يمكنني ان انسى ما فعله كولن كي تتمكن من الزواج. اخشى الا يكون زواجه ناجحاً، لأنه غير مؤسس على الحب، لا شك ان انولا تعرف الآن ان كولن لا يحبها».
هز كارلوس رأسه وتابعا سيرهما... يحبان ان يمشيا كل مساء لدى عودتهما من منزل جيلبير. النسيم يلوح اوراق شجر الحامض.

القمر والنجوم تلقي انوارها الفضية على البحر والجبال. يقومان بهذه النزهة كل مساء، لأن سارة ما زالت تعمل عند جيلبير.

ستواصل عملها حتى ينتهي من تحقيق كتابه.

وفي مساء الغد كانت حديقة الفيللا مضاءة وعلى الشرفة ثلاثة اشخاص. شعرت سارة بغصة في قلبها. هل ستقرأ خيبة الأمل على وجه انولا؟ والندم العميق في وجه كولن؟

فجأة سمعا قهقهة امرأة تضحك بفرح. ثم انضم اليها الرجلان. كانوا ما زالوا يضحكون عندما وصلت سارة وكارلوس.

وقف جيلبير لاستقبالهما وقال:

«اسمعوا هذه القصة...».

بعد ثلاث ساعات، استأذنت سارة وكارلوس من الحضور ليعودا الى منزلهما. فقد دعى كارلوس جيلبير والزوجين الى العشاء في اليوم التالي. وما ان اصبح كارلوس خارج الباب الحديدي حتى نظرت اليه سارة وقالت:

«هل رأيت كم يعشقان بعضهما؟».

«كيف لا الاحظ ذلك، يا حبيبتي؟ اشعر بارتياح كبير قربهما».

«لم اكن اصدق انه تزوجها عن حب. لم يحاول انكار ذلك عندما اتهمته بخداع انولا. لماذا اذن؟».

توقفت سارة محتارة وقالت:

«هل تزوجها حقاً عن حب؟ ام انه احبها بعد الزواج؟».

اجاب كارلوس بعد لحظة تفكير:

«لن نعرف هذا ابداً... لا سبب لأن تقلق عليها بعد الآن. انهما سعيدان...».

توقف عن متابعة الكلام وامسك بذقن زوجته ورفع وجهها نحوه وقال:

«والآن، لم يعد هناك شيء يمنعنا من ان نكون فعلاً سعيدين».

هزت رأسها وابتسمت وشعرت بارتياح وفرح يوم حولت كل ثروتها التي ورثتها عن والدي كارلوس الى ريان.

همست تقول عندما امسك زوجها يدها وشد عليها بحب وشغف:

«لم يعد هناك اي حاجز امام سعادتنا، يا حبي».